بروميثوس

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
بيلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
Books - بيلومانيا
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

بروميثـوس

روايـة

رواء الكثيري

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

نوع العمل: رواية

اسم العمل: بروميثوس

اسم المؤلف: رواء الكثيري

تصميم الغلاف: فريق تصميم ببلومانيا للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 21692 /2017

الترقيم الدولي (ISBN) : 978 - 977 – 6607 -21- 7

الناشر / دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون / 00201065534541- 00201208868826

صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع

محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ

أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

كلمة الناشر

في هذا الكتاب – بروميثوس- رواية عن شاب عاش حياة صعبه وقاسية في طفولته.. ليكبر ويجد نفسه يعيش في حياة لا معنى لها..

يتعرض للكثير من التجارب التي سيدرك من خلالها أن حياته السابقة تسير إلى طريق مسدودة، وحين يصادف في لحظة جلوسه مع نفسه ظهور شخص غريب، يقوم بـأخباره عن سر عظيم..

ولكن ليفهم معنى السر، لابد له أن يعرف ذاته الحقيقة أكثر، ولا يمكن أن يحدث ذلك من دون أن يخوض العديد من التجارب ويفهم الحكمة من كل تجربة..

يقرر بعد طول تفكير في اتخاذ قرار مهم في حياته!! ثم يبدأ في رحلة طويلة تصادفه فيها الكثير من الصعوبات التي تحبطه وتجعله يبدأ في الاستسلام لقدره، فتزوره ذكريات من ماضيه بعضها تدفعه وبعضها الآخر تحبطه، لكنه سرعان ما ينتبه ويعود ليكمل البحث عن معنى للسر..

وفي أثناء بحثه يكتشف أن هناك نداءً خفي داخل روحه، لا يعلم ما هو؟!..

يستسلم مره أخرى، ولكن صديقه أدونيس يدفعه ويذكره بالشوط الطويل الذي قطعه..

وبعد أن تنتهي رحلته يكتشف أن هذا الأمر الذي كان يلح عليه هو ماكان يحتاجه يوم اتخاذ القرار، وهو سره العظيم، وهو معجزته التي لن تأفل.

والله الموفق،،

ببلومانيا للنشر والتوزيع

تمهيد

لماذا اخترت اسم بروميثيوس لروايتي..؟

بروميثيوس هو اسم اسطوري شهير لبطل اغريقي امتاز بالذكاء والحكمة وبُعد النظر. وهذا هو سبب تسمية بطل روايتي بـــاسم (بروميثيوس) لما امتازت به الشخصية من صفات رائعة.

على اثرها ولدت روايتي..

بوب مارلي -مغني- كانت لديه فكرة صادقة، كان يؤمن بأن في استطاعته علاج التميز العنصري والكراهية الشديدة، وذلك عن طريق نشر الموسيقى والحب داخل حياة الناس.
كانت أغنية مارلي (One Love) هي الأغنية التي حققت نجاحاً في القارات الخمس، فقد دعا فيها للسلام والأخوة الإنســـانية، حتى لا يكون هناك هلاك للبشرية. ويُقال أنه عندما كان يُحضِّر لإحيـــاء حفلة تدعو إلى الســـلام، دخل رجل مسلح إلى منزلة وأطلق النار عليه.. وبعد يومين سار على المسرح وغنّى، فسأله شخص: لماذا لم تأخذ قسطاً من الراحة ؟ قال: هناك

أُناس يحاولون أن يجعلوا هذا العالم مكاناً سيئاً. كيف أتوقف!! يجب عليَّ إضاءة الظلام، فكما أن المفسدين لا يأخذون إجازة، فكذلك نحن يجب أن لا نأخذ إجازة.

كلمات نقلت روايتي..

عندما ترى صندوقاً سابحاً في اتجاهك من الضفة الأخرى وأنت في قمة حالاتك البائسة ولا أحد سواك بـــــتجاه الصندوق!! سيجعلك الفضول تقف إلى حين وصوله والتقاطه.. وستدفعك موجة من التساؤلات والخيالات عن ماذا يحوي الصندوق ..!!

ماذا لو كان يحوي كنوزاً..! ماذا لو كان يحوي ثروة هائلة تغير كل حياتك وحياة من حولك ..! وماذا لو كان يحوي معجزةً تغيرك من الداخل وتجعل منك أسطورة عظمية تعيش الغنى والطمأنينة الأبدية والسعادة التي لا تأفل..!

ولكن !! ماذا لو خابت كل تساؤلاتك!! ماذا لو كان لا يحوي غير رسالة نجدة من إنسان يسكن الضفة الأخرى؟!..

وعند وصوله ستلتقطه بلهفة.. وعندما تكتشف أن كل تساؤلاتك خابت.. وأن الصندوق لم يكن يحوي إلا ورقة صغيرة ستتأثر وستشعر بأن قلبك يعتصر لأنك كنت تريد أن تحدث معك معجزة..

هنا .. وفي هذه اللحظة تذكر أن الله لا يتركك تصارع حياتك البائسة وحدك..

ثق في هذه الورقة الصغيرة وأمن بها.. فأحياناً يكون في القليل كنز كبير وبداية لحياة طيبة.

اقرأ الورقة التي بالصندوق.. هي رسالة من بين مئة ألف رسالة من ربك.. مكتوبة لك.. قاصدةً إياك من كتاب أُنزل لنا جميعاً { وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } نعم .. هذه الرسالة كنزي وكنزك .. وقد آن أوان مالم نقم به، وأن حيواتنا الماضية التي تبددت بدون قيمة أو معنى لابد وأن تنتهي.. لابد وأن نجعل لنهايتنا على الأقل قيمة وندرك بذلك ما فات.. ولنبدأ في صنع واقعنا وتغييره الأن لأنه سيكون شكلاً لمستقبلنا.

ما أعظم أن تصادف في حياتك رسالة كونية على لسان شخص.. رسالة نقلتني سفينتها الكلامية إلى ضفة أخرى وأخذتني أشرعة حروفها إلى أفق واسع. لقد كانت رسالة قصيرة، لكنها باتت لي عذاباً إيجابياً، فقد خَلَقتْ مني إنسانة جديدة، وحركة بوصلتي نحو القبلة، بوصلتي التي غابت ملامحها وامتزجت هويتها وسط معالم الآخر. لم تكن كلمات تلك الرسالة غائبة عني، كانت موجودة في أعماقي لكن ظلت طريق الخروج. وهذه الرسالة كانت من كلمات ملهمي الدكتور *فيصل العلي* قال: (لنصارح أنفسنا: إننا نعاني كثيراً لنصبغ أنشطتنا اليومية البسيطة والجليلة بالبعد الآخروي !, و نشعر أن أي عمل خارج عالم العبادات التوقيفية نشعر أنه غريب على عضد مسيرة الإيمان .

فمن أراد التدين هرع إلى تكثيف تلاوته وصلواته دون أن يخطر على باله أن إتقانه علماً أو مهارةً قد يكون أجدى على الإسلام من كثرة النوافل في العبادات ..

إن الإسلام جاء ليصنع حضارة تحكم الأرض، لا ليصنع صعاليك يتسولون منتجات الحضارات الغربية والشرقية ثم يزعمون أنهم عباد الله المخلصون الأقوياء الذين ينصرونه .

إن الإنسان مفطور على العمل في فضاء حسي يحقق فيه حاجاته الحسية، وجاءه الوحي لربطه بما غاب عن حسه، ويذكره بشقه الروحي فلا يفسد في الأرض أو يسفك الدماء، فلما فصلنا بين الاثنين انحسرت فعالية الوحي والعبادات والوعظ لأنها أصبحت أشياء غريبة على حياته أو من خارج حياته يتكلفها تكلفاً، أو يعمل لها عملها الخاص!، فهو يصلي -بزعمه للآخرة- للآخرة ومضطر ليعمل للدنيا من أجل عيشه دون أن يحكم الاثنين بمنظور كلي ويدرك أن امتلاك الدنيا وقيادتها باسم الله، هو عين فوزه بالجنة.

فالإسلام لم يعلمنا أن التقوى الشخصية أو الخلاص الفردي هما الغاية، بل الغاية هي التقوى الجماعية أو الخلاص الجماعي الذي يتعاون أفراده زمرا في الدنيا ليدخلوا الجنة زمرا في الآخرة) .

***

إهـــــداء..

إلى ذلك الإنسان المؤمن بالتغيير.. المتحرك.. الذي يقرأ العالم باسم ربه الأكرم. إلى ذلك الإنسان الذي لم يقتصر الكتابة على الحرف فقط.. بل الكتابة بقلم بصمته على صفحة العالم .

إلى ذلك الإنسان الذي نظر إلى الطريق أمامه وفهم أن سباقه الطويل سيكون صعباً ويحتاج إلى الكثير من الجهد والعلم والكفاح ..

إلى ذلك الإنسان الساعي إلى استعادة الإنسانية والعيش بكرامة.. وإلى الإنسان الذي جعل همه الوحيد أن يكون بجانب كل الوحيدين.. وكل البائسين.. وكل الجياع.. وكل المسنين.. وكل المنسيين..

إلى ذلك الإنسان الذي يروي عطش العدالة والوعي في عصرنا. إلى ذلك الإنسان الخليفة الذي أعطاه ربه أشرف وظيفة وأعظم أمانة.

وإلى تلك المرأة التي لا بد لنا من ذكرها.. المرأة التي صنعت ذلك الإنسان.. المرأة التي كان همها أن تُعد أجيالاً تمحو الظلم في البشرية ولا نجد له معنى إلا في التعريفات..

وإلى كل فرد سيغير التاريخ لم يولد بعد.. وإلى كل فرد مات ولم يزل حياً.

ربما مع عسر اليتم الصعب، هناك ثمة مبدع يولد من رحم المأساة.. وينتج أدباً وفكراً ييسر أمور الناس ويبصرهم ويقودهم إلى الخروج من مآسيهم.. ولو بعد حين.. نعم، مع كل مبدع، بقلم أو ريشة، هناك مأساة، كانت "عسراً" يوماً ما، ثم أثبتت، أنه كان "معها" اليسر.

د. أحمد العمري

" كم أضعنا أنفسنا في متاهة الحياة .. ولكنّنا التقينا بها مصادفةً أو قَدَراً ونحن ننبش في ذكرياتنا "

أيمن العتوم

قد يكون داخل أجسادنا قصص تسكن خنادق .. وكلمات تختبئ في مغارات .. ومشاعر تنتحر بحبل العُرف أو الواقع الملفوف على عنقها فوق جسر الحياة الكئيب .. بعينين لا ترى سوى الظلام .. ولا شيء سوى الظلام يحفز الروح لتصعد بلباس البؤس الأبدي .. وقد اختارت الصراع المميت عمامتها .
عندما تشعر أن أفق الإنســانية صار ضيقاً .. يحدث أن تتمنى الموت بدل العيش في ذلك الأفق .. بروميثيوس لم يتمنى الموت .. بل توقف عن الحياة واستسلم للقدر .

لقد تعرض لمواقف سيئة في حياته أوصلته إلى هذه الدرجة من الاستسلام وعدم المبالاة .. لأنه كان ينظر لنفسه أنه لم يعد ينفع للقيام بأي شيء. اكتفى

بالبقاء بعيداً عن كل شيء .. لكنه لم ينتبه أن عزلته أوصلته إلى روح ميته تسكن في متاهة لا خروج منها ، فهي لم تخلق له السلام الذي كان يحلم به .. كانت تدور في رأسه الكثير من المعارك . ينام لساعات طويلة ولكنه لا يشعر بـــ الارتياح .. لأن عقله ما زال عالق في صراع دائم نحو ما يريد أن يكون في مجتمعه .. ونحو الماضي الذي كبله وعدم وجود إمكانيات لديه لتغيير ما يريد تغييره.. ..

هناك قدرة في الإنسان لا يُحسن استخدامها أحياناً لأنه أساء فهمها.. وهي قدرته على التكيف. استخدمها بروميثيوس في التكيف على الموت وسط الحياة. أن تتكيف لا يعني أن تستسلم.. وإنما أن تحاول وتفكر وتكافح لتُغير مهما طال الطريق.

لم يملك أحداً القدرة – في ذلك الوقت – على إخراجه مما هو فيه طالما أنه هو نفسه لا يريد. لقد صار الخوف هو المتحكم فيه.. لأنه جعله مثل أيقونة لا بد من وجودها على سطح عقله. وعند بلوغه العشرين من عمره بدأت تراوده الكثير من الأسئلة حول وجوده في هذا العالم. وعندما شعر بأنه متوقف تماماً.. قابله شخص في الجبل.. ومنه علم بأنه عالقٌ في العفن. لقد أخبره بخطوات التغيير التي ستنقله من حياة مظلمة إلى حياة مضيئة.. من أفق ضيق

إلى أفق واسع بعيداً عن جذب الماضي الذي يحكي له بأنه أفضل.. وتفاؤل المستقبل الكاذب الذي سيصبح أفضل دون العمل له بشكل أصلح.

في رحلته الطويلة يكتشف بأن هناك أمر داخله يلح عليه ولكنه لم يعرفه .. ظل سنوات وهذا الأمر يأتي ثم يخبو كضوء شمعة في عتمة الليل تضعف الرياح ضوؤها. ولكن في نهاية العشرينيات من عمره عرفه .. ولم يكن شيئاً عادياً .. بل كان معجزته التي لن تأفل.

من هنا أصبح بروميثيوس شخصية رائعة . وهذا ما جعلني أزيح اللثام عن حكايته .. وأسطر بأعز قطرة من دمي عن بروميثيوس الشخص الذي تعرض للكثير من المواقف المؤلمة والقاسية والغريبة ، والتي جعلت منه شخصية باحثة عن شيء وسط اللاشيء . والأن .. سأدعكم تقلبون صفحات حياته التي احتوت الكثير من الأحداث .. ..

***

عندما تكون السعادة بين يديك ستشعر بها صغيرة .. ولكن عندما تفقدها ستشعر كم كانت عظيمة وغالية "

مكسيم غوركي

لا أذكر الكثير من أيام طفولتي إلا تلك التفاصيل القاسية التي يصعب وصفها بدقة، التفاصيل التي نقلت حياتي إلى أرض مهجورة يسعى سكانها إلى قتل الإنسان فينا. ليس صعباً أن أعود إلى الماضي وأتذكر وأكتب عن حياتي التي سلكت طريقاً لم أتصور يوماً أن تجري فيه الأحداث على هذا النحو.. ولكن هذا هو الماضي إلى درجة الإيلام..

لقد كانت حياتي مليئةً بالتعقيدات والصعوبات والوقائع الغريبة التي جعلت مني شخصاً يولد من جديد . كنت أعتقد بأن الأقدار تنتقم مني.. لكنني أيقنت فيما بعد أن ما كنت أظنه انتقام الأقدار ما هو إلا فتح من رب العالمين.

جسده ممدد.. هذا ما أذكره.. ولكن تفاصيل وجهه لم تكن قد رسمت بشكل كامل في مخيلتي الصغيرة.. فقط أتذكر ذلك الجسد الطويل والنحيل وقد

استلقى بشكل مستقيم.. وغُطي تماماً من الرأس وحتى القدمين. والصراخ الذي صبغ المكان.. ودموع أمي التي دائماً ما تثير فيَّ الكثير من المخاوف.. والألم الذي بدأ يسطر في الأفق رحلة طويلة من الشقاء لم تنتهي بسهولة.

في الصباح، أُخذ جثمان جدي وتوارى في حفرة مظلمة وانتهت رحلته هنا. لقد شعرت بصعوبة الأمر. لم أتصور للحظة أنني لن أرى جدي بعد اليوم..

كانت هذه أخر صورة احتفظت بها ذاكرتي.. صورة من غير ملامح.. صورة ذلك الجسد الممدد والمغطى تماماً والذي توارى في حفرة..

كان هذا أول درس تعلمته من الحياة في سن السادسة، وهو معنى الموت.

بعد وفاة جدي أصبح البيت الكبير يفرغ بالتدريج. في كل شهر تغادر منه عائلة واحدة، وذلك بسبب أن الجميع يختلق المشاكل ويفتعل الشجار.. لم يعد البيت هادئ.. وكأن لعنةً أصابته. كنت أنظر إلى أمي وقد نحل جسدها، وتبعثر شعرها على جبينها بعد أن كانت تهتم بتسريحه، فقد كانت أنيقة جداً، لا سيما عندما يكون شعرها الأسود المزرق منسدلاً كستارٍ على شرفة مفتوحة، يداعب الهواء ملمسه الحريري. ومع مرور الوقت أصبح الصمت مخيماً عليها من هول ما ترى من شتات العائلة. كنت أنتظر منها
أي ردة فعل أو تغيير لما نحن فيه من ظلام وشتات.. ولكن لم يحدث شيء.

وحين يحل الليل أذهب إلى غرفتي لأنزوي فوق صندوق تضع أمي فيه الملابس الشتوية وأجلس عليه في كل ليلة أنظر إلى النافذة أنتظر قدوم الصباح لكي أغرق في نوم عميق.. فقد أصبح الليل مخيف من كثرة الصراخ والشتائم التي يطلقها الأزواج على نسائهم. لقد سئمت العيش في تلك البيئة المقيتة والمتذمرة بشدة. كل تلك الأحداث بدأت تتراءى لي من خلال الغيوم الشفافة ومن وراء السنين. كثير من الأشياء حدثت في بيتنا ، بعضها جميل ورائع ويثير الاهتمام .. وبعضها قاتم معتم ينتفخ لها الفؤاد .لم يكن للفرح أيام ، بل سويعات وينقضي . كنت كثير الإحساس بـالكآبة .. وكأنني أحمل جبلاً بين اضلعي وليس قلباً نابضاً .. كان الشعور بالوحدة يطغى عليَّ في كثير من الأحيان كعبء ثقيل يرهق عاتقي ويتعب عقلي وروحي .

وفي أحد الأيام، طلبت خالتي أن أذهب معها في نزهة إلى البحر لأن زوجها أصبح قبطاناً للسفينة . وعندما سمعت أمي قولها ، نظرت إليها مقطبة الجبين قائلة لها: إن بروميثيوس يعاني من دوار البحر..

- وماذا في ذلك ..! لقد تجاوز الخامسة من عمره ، كفاك دلالاً. أنت تفسدين الصبي، دعيه يذهب معنا ويرى البحر فهذه فرصته ليتعلم ويعتمد على نفسه بدلاً من مرافقتك طوال الوقت.! لم تنطق أمي بكلمة .. شعرت بأنها تفكر في أمرٍ لا أعرفه .

وفي يوم - أسوء رحلة في حياتي – وافقت أمي وأصغت لأختها وقالت: بإمكانك أخذه.

طيبة قلب أمي طغت على صرامة قرارها. أحياناً أقول في نفسي (هذه نقطة ضعف أمي) فعلى الرغم من قسوة طباع أخواتها إلا أنها كانت كثير ما تهمس بصوت منخفض عندما تأتي أحداهن وتسلم عليها معتذرة منها لأي فعل كان: (لربما هذه المرة الأخيرة ولن تعود بعدها لأفعالها).

وفي ذلك اليوم المعتم.. كان القبطان مستلقياً على سطح السفينة، وكنت أنا مع ابنه الذي يكبرني بسنتين في أحد الغرف في الأسفل. كان كثير ما يستفزني ببلادته، ولكنني كنت أتذكر كلمات أبي عندما كان يقول : (إذا قام أحد الأشخاص الذين لا يروقون لك بالحديث معك فلا تفتعل معه المشاكل، فقط أتركه ولا تتحدث معه). وهكذا ما كنت أفعله في كل مرة وأتجاهله . حتى بدأت أغيظه ، وبدأت أنفاسه تتسارع من شدت الغضب والصراخ .. حينها لم يتمالك نفسه ، فقام برمي حقيبة نحوي ولكنها لم تصطدم بي، بل في زهرية قديمة وسقطت على الأرض وانكسرت. سمع والده صوت تحطم زجاج، نزل مسرعاً نحو الأسفل باتجاه الغرفة التي كنت فيها مع أبنه ، ليدخل وتتسمر نظراته على حطام الزهرية المكسورة .

وسرعان ما صرخ أبنه بصوت مرتفع قائلاً: هو من كسر الزهرية - فعل ذلك من قبل في بيت جدي. أُخرست تماماً عندما سمعت ما تفوه به ذاك الأحمق ،

وبدأت أفكر في الخطوة التي سيقوم بها والده. فقلت مسرعاً من قبل أن يحدث شيء : لم أفعل ذلك، إن ابنك يكذب.. لم ينطق بكلمة.. وكنت أنظر هل يعقل أن يصدق القبطان الأبله كلام أبنه؟!

نظرت إلى الحقيبة رايتها عند قدمي.. تناولتها واتجهت نحوه لأخبره أن الحقيبة في اتجاهي وليست في اتجاه ابنه. وهذا ما يثبت أن ابنك يكذب. ولكنني لم أرى إلا تلك اليد الضخمة وهي تنتشلني من ملابسي وتأرجحني في الهواء مثل قطٍ صغير، ليصعد بي على سطح السفينة ويقول مدمدماً: سأضربك إلى أن تتأدب. وفي يده عصا صلبة لا أذكر بعدها ما حدث لي سوى أني استيقظت بعد عدة أيام لأرى وجه أمي وهي تمسك بيدي وقد ذبلت ملامحها من كثرة البكاء وبجوارها رجل غريب لم أره أبداً. تقول أمي هو من انقذني من انهيال الضربات تلك. غادرنا حين استيقظت مباشرةً، ولم يعطني فرصة لشكره.

وعندما بدأت صحتي في التحسن، أخبرت أمي والدموع تملأ عيني أنه لا بد لنا من ترك المنزل .. حاولت النهوض من فراشي ولكن لم استطع.. فقد أُصبت برضوض بالغة..

فحملتني وأجلستني على ركبتيها بلطف وأخذتني إلى حضنها ، ثم تناولت يدي براحة كفيها ، وقبضت عليها بقوة ورفعتها نحو رأسها وذقنها فوق رأسي..

ظلت دقائق لم تنطق بكلمه .. لقد شعرت بنبضات قلبها.. بدت لي حزينة متألمة ، بقامة فارغة ، وتفكير مشتت..

رفعت رأسي لأنظر إلى عينيها .. كأنها المرة الأولى التي أرى فيها عيون أمي وقد احتواها بريق مشع .. انتشلني من تلك الظلمة وأيقظني من سباتي ليأخذني إلى النور. كل المخاوف في قلبي تلاشت .. وكأنها بقبضتها غزلت حياتي على خيط عالمه مليء بالألوان . ولكن في تلك اللحظة شعرت أن بداخل أمي الكثير من الهموم والأوجاع التي لا يستطيع عقلي تصورها أو فهمها .. تمنيت يومها أن أكبر بسرعة لأعلم ما تقوله عيني أمي من ألم . لقد علمتني تلك التجربة أن الحياة لا تصفو دائماً.. وأن المستقبل قد يكون قاسياً. ثم قالت: أنظر لقد حزمت أمتعتنا ، فقط ننتظر أنا ووالدك أن تشفى تماماً لنستطيع السفر.

وعندما شفيت تماماً، غادرنا المدينة.. كان ذلك اليوم الأول الذي شعرت فيه بمعنى أن تكون حراً.

قبل ركوب القطار.. أخذت نفساً عميقاً ثم قلت في نفسي: لن أرى بعد اليوم ملامح أمي وهي تبهت من كثرة البكاء.

وصلنا إلى منزلنا الجديد بعد ساعتين تقريباً .. كان كبيراً جداً ، فهو يتكون من طابقين وحضيرة في الخلف وحديقة أمامية تحتاج إلى الكثير من التنظيف.. وبينما كنت أسير في أرجاء منزلنا الجديد.. وجدت الكثير من الألعاب في أحدى الغرف!! سألت أمي: ما بال هذه الألعاب؟

فقالت: صغيري، سيأتي بعد ستة أشهر -بإذن الله- فرد جديد في العائلة

أريدك أن تحبه وتحن عليه لأنه بالتأكيد سيحبك ، وسيحترمك لأنك تكبره سناً.. كان الخبر رائعاً ليس لأنني أكترث لموضوع أن يكون عندي أخ أو أخت وإنما همس أمي عند أذني بصوتها العذب واعتمادها علي هو ما جعلني فرحاً جداً . في حينها قلت لها: سأكون مثلك تماماً . وفي ذلك اليوم لم أشعر بالنعاس.. فكرت بـــالاستلقاء تحت شجرة كبيرة في حديقتنا.. ولكنها كانت تحتاج إلى التنظيف. انتهزت الفرصة، وقمت بتنظيفها وبنزع تلك الأعشاب الضارة.. وبعد ذلك قمت بتسوية التربة ووضع بعض البذور. لقد أصبحت الحديقة جاهزة، وعندما بدت لي مريحة ونظيفة.. لم أتردد في الاستلقاء تحت الشجرة الكبيرة.. وهي أكبر شجرة في حديقتنا..

كنت أحب الجلوس وحدي لسويعات لا سيما إذا استعصى علي نومي.. فقمت أتأمل تلك الشجرة.. في قوتها وحجمها.. ثم سألت نفسي؟ كيف أصبحت هذه الشجرة كبيرة على الرغم من الفوضى التي كانت تسكن الحديقة..؟ كم أتمنى أن أصبح قوياً مثل أمي وهذه الشجرة.. لأنني أحياناً أشعر وكأن الحيـــــــــاة ستزداد سوءً عندما أكبر .

وفي ذلك اليوم كانت تصعد أول رسائلي إلى ربي.. الرسائل التي أدمنتها. كانت تلك الأيام أجمل أيام حياتي التي عرفت فيها ربي وأحببته كصديق قلبه طيب .. يعذرك ولا يعاتبك أبداً ويسمعك في كل وقت. التفكير في الله والحديث معه هو الشيء الوحيد الذي لن أتخلى عنه بعد أن وجدته وقد فقدت كل شيء في

هذه الحياة..

في المنزل الجديد حلمت بالكثير من الأمور الرائعة والحياة الهانئة والهادئة .. لكن ذلك لم يحدث .. إن حكايتي مع أقربائي لم تنتهي بمجرد السفر والانتقال من مدينة إلى أخرى .. فقد علموا من أبي أين نسكن ، ولم يترد أي شخص منهم – وبكل حماقة – من ممارسة التنفيس النفسي في وجه أمي ..

لا أعرف كيف أستعيد تلك اللحظات الفارقة في حياتي وأصف مشاعري الممزوجة بالخوف والترقب والقلق والأرق والوجع على أمي.. حلقة من الفوضى تدور بها نفسي الأن. لم ترى أمي سعادة حتى بعد تركها لبيت جدي .. كما لم ترها وهي فيه ..

غير ذلك .. لم يكن الدخل يكفي لتغطية مصاريف أخوي التوأم .. لذلك أطرت للعمل ، فعمل أبي في النجارة لم يكن بدخل ثابت .

بدأت أفتقد أمي .. فهي تبدو بيننا للحظات قصيرة لأن هاتفها لا يكف عن الرنين .. وأكمل ذلك بكاء أخوتي في كل ساعة ..

وهذا ما جعلني أشعر بأني بدأت أفقد بعض أجزائي ، لأني كنت دائماً قريباً منها ، وكانت دائماً ما تتحدث إلي وترهف السمع إلى أحاديثي .

لا أنسى ذلك الغروب الذي أثقلت كآبته على صدري .. عندما أدركت بأن أمي بدت غير مبالية .. تنظر إلى كل شيء بعينين باردتين .. وروح منهكة نادمة .. وذهنٍ شارد .. وقرارات حائرة .

لقد كرهت العمل الذي أفقدني روح أمي .
مضت الشهور وأكملت سن السادسة. ثم التحقت بالمدرسة . كان قرار التحاقي بها هو قرار جدتي التي كانت كثيرة الكلام .. فأمي كانت تتجاهلها لكثرة انشغالها . وأنا لم أكن أستوعب الأمور التي كانت تتحدث عنها..
لا زلت أذكر تلك الأوقات الماكرة التي كنت أحب فيها أن أخذ من جدتي مقتنياتها التي تثير في نفسي الدهشة، كانت أشيائها غريبة لدرجة أنها تثير فيَّ الفضول لاستكشافها.. فكانت تركض خلفي لتستعيد مني ما أخذته، وعندما تمسك بي لم تكن تضربني بل كانت تكتفي بتعنيفي، وأحياناً بهز اصبعها في وجهي. كنت أحب اللعب معها، لأنها تلعب بدافع أن تجعلني مسروراً. بعكس اللعب مع اقراني، فقد كانت تصرفاتهم المقيتة تثير فيَّ الاشمئزاز.
كثيراً ما كان اللعب معهم يسبب لي المتاعب بسبب الفوضى التي ينشرونها والمشاجرات التي يفتعلونها ، لم أكن مثلهم .. لذلك لم تكن بيني وبينهم صداقات حميمية أبداً. فكثيراً ما كنت أتلقى من ضرباتهم الشيء الكثير، لأعود إلى المنزل وقد امتلئ جسمي بالكدمات. ولم يصل الأمر إلى ثوراني لدرجة الجنون إلا عندما شاهدت تصرفاتهم مع المتسولين في الشوارع ورشقهم بالحجارة.. ودفع كبار السن متعمدين اسقاطهم، وتعذيبهم للحيوانات..
كنت اتعجب !! ما سبب قيامهم بهذه التصرفات مما جعلني امتنع من اللعب

معهم إلى الأبد ..! ويوم أخبرت جدتي بتصرفاتهم قالت لي: إن ما يفعله الإنسـان من تصرفات، ما هو إلا انعكاس لصورته الداخلية.

فإذا كنت جميلاً من الداخل انعكس ذلك عليك وعلى من حولك في الخارج.
وإذا كنت فوضوياً من الداخل فستنعكس فوضويتك على الخارج.
وعند اقتراب مغيب شمس أحد الأيام، طلبت مني أمي أن أتوقف عن اللعب قليلاً واسير معها لبضع دقائق في الحديقة وحدنا.. فأنصت إلى كلامها. سارت لثواني .. ثم التفتت إلي وأمسكت بيدي .. شعرت بها حائرة لكنها لم تتردد ولم تمنعها حيرتها قائلة :
- بني .. أعلم بأنك شهدت الكثير من الأمور في حياتك .. لا سيما بعد وفاة جدك .
فقد كنا نعيش في بيت واحد، ووالدك يملك عملاً يستطيع منه أن يلبي الكثير من حاجاتنا.. ولكن بعد وفاة جدك تغيرت حياتنا، وانتقلنا إلى مدينة أخرى لا تشبه مدينتك التي ولدت فيها، وأتى للعائلة أفراد جدد.

وأنت كبرت والتحقت بالمدرسة التي حلمت كثيراً بالذهاب إليها، وإلى تكوين صداقات كبيرة تروق لك، لا تشعر أبداً بالوحدة معها. وكنت تتمنى أن تقضي معها الكثير من الوقت في اللعب. لكنك لم تجدهم فخاب أملك. وأعلم أن سبب عدم وجود أصدقاء حولك هو الفقر الشديد الذي اصبحنا نعاني منه.

لكن لا بأس يا بني، كل الأمور ستتغير. عليك أن تفكر في نقطة واحدة وهي أنني معك وبجانبك ولن أتخلى عنك.

* لم أكن أعلم بأن أمي تعلم بكل ذلك.. كانت همساتها دائماً ما تشعرني بأني والحزن بعيدين جداً رغم القلق الذي يحيط بنا.
غابت الشمس.. وبدأت الأضواء تنعكس على النوافذ.. وخيوط الظلمة قد غطت الأفق. ثم سكتت وحنت رأسها وركنت إلى شيء من الهدوء والسكون فترة طويلة ثم تابعت باهتمام حديثها وهي تفتش في زوايا ذاكرتها العتيقة بصوت منكسر ومنهك..
- عندما يحل الشتاء، سأبدأ بعمل جديد، سأُحضِّر القهوة الفرنسية في مقهى يقع في بداية المدينة. لا تتصور أني لا أهتم بك.. لقد أتيت بك إلى هنا لكي أخبرك بأني في حاجة إلى تعاونك.. أنت أبني الأول.. ولا أريدك أن تشعر بأني بعيدةً عنك.. أنا بجانبك دائماً.. كما أنت بجانبي دائماً.. وعندما نكون معاً منذ البداية سنكون معاً حتى النهاية.. وسنصبح بذلك أقْوياءُ..
هيا ، أرني ابتسامتك الخجولة وتعال لتعانقني بقوة.

***

عندما تكون الحياة رتيبة ، يصبح الألم نفسه عيداً يرحب به ، حتى أن الجراح البسيطة ، في الوجه الخالي من أي معنى يمسي زينة جميلة ورائعة ..

مكسيم

كلنا نمر بمفترقات طرق في حياتنا.. تغير طريقنا.. أهدافنا.. طرق تفكيرنا.. سلوكياتنا.. اهتماماتنا.. وحتى أفكارنا..

لقد اصبحت الآن في العشرين من عمري وقد تغيرت الكثير من الأمور في حياتي... ما أصعب أن أجمع خيوط حكايتي التي تناثرت في أجواء ذاكرة مطلية بغبار السنين.. أصبحت أشعر وكأنني أفقد كينونتي.. وأغرق في وادٍ سحيق شديد الظلمة بلا وعي في هاوية لا تعرف لها قرار.
مرت أربعة عشر سنة هادئة.. أو أقول متوقفة. لقد أخبرتني أمي من قبل أن الأمور ستتغير كثيراً.. وها هي تغيرت.. ولكنها لم تخبرني بأن الأيام لربما توقفت.. وكأنها ممددة على عقارب ساعة لا تدور..
الشعور بالوحدة.. ولحظات من الحزن.. وتذكر الماضي.. وسواد الواقع.. وظلمة

المستقبل.. أمور كهذه كثير ما تراودني. أشعر أحياناً بأنه لم يعد للابتسامة مكان في قلبي.. وأن الظلام يحيط بي من كل جانب.. والحياة لم تعد جميلة ولا تستحق منا المغامرة. أفكار مزعجة تضيق على صدري.. وتجعل الكون حولي مثل صندوق به ثقب ضيق أتنفس من خلاله.. يا ترى هل السعادة لا تناسبني؟!. أشعر بأني متوقف تماماً أمام مستقبل مجهول.. وأن كل شيء في حياتي صار ضيقاً.. كئيباً.. مملاً.. كل ما في الأمر أنني لا أريد أن أعيش مستقبلاً مظلماً كما عشت من قبل ماضياً كئيباً.. كلما راودتني هذه الأفكار شعرت بأمواجٍ من الأمور السيئة التي تدور برأسي.

صعدت إلى قمة جبل تطل على الشارع الرئيسي لمدينتي.. تأملت الناس وهم عائدون إلى منازلهم وسط زحام لا ينتهي.. حاولت أن أتصور غداً بصورة غير التي أعتدت عليها.. بدأت أتخيل شكلاً لمستقبلي أعمل على صنعه الآن.. ولكن خيالاتي كلها أوصلتني إلى صعوبة في وجود بصيص أمل في هذه الحيـــــاة.. وأن حياتي ستظل غارقة في الوحل.

وحين ودعت الجبال الملتفة حولي أخر أضواء النهار.. صرخت بصوت عالٍ (أريد أن أكون ما أريد وحيث أريد ولكن ليس مع حياة متوقفة!) سمعت صدى صوتي تردده الجبال ضعيفاً حزيناً مكتظاً بـالألم.. وبينما أنا غارق في التفكير.. ظهر فجأة أمامي شخص غريب.. غزت التجاعيد ملامحه بشعر أبيض ولكن بنيته قوية. تتقدم وجهه نظارة كبيرة تشعرك بطبعه الهادئ. طويل

القامة بلباس أنيق يسحرك. سألني بهدوء بعد أن أطال النظر إليّ: هل كنت تصرخ قبل قليل ؟

- نعم. ولكن من أنت؟ لم يرد على سؤالي، فرابني أمره!! راح يحدق في قمة جبل بعيد يكاد يختفي تماماً.. نظرت إليه ثم سألته إلى ما تحدق؟

- قال : إلى صورتك التي رسمتها عن المستقبل.

- وكيف عرفت صورتي التي رسمتها عن المستقبل؟

- من صوتك عرفت صورتك. إن كل ما يحيط بنا في تغير دائم.. وكل يوم هو يوم جديد على العالم. شروق الشمس الذي غاب إحساسك به.. كثيراً ما يخبرك بأن اليوم هو يوم جديد ومختلف وله ما يميزه لكنك لم ترى ذلك.. والحياة تزخر بفرص جديدة لكنك لم تنتبه لها.

لم انبس بكلمة.. كنت أراقب ما يفعله واسمع ما يقوله فقط.. ثم سألت نفسي هل أنا نائم وأحلم..؟!! وأكمل قائلاً: عندما نفقد ذواتنا وننسى مهمتنا، يتوقف زماننا، وبذلك تمضي حياتنا في قطار اللاشيء.

قطعته قائلاً: ولماذا تخبرني بكل ذلك من قبل أن تخبرني من أنت..؟

- بعض التفاصيل قد لا تقدم أي نفع لغيرنا..

- وماذا يعني ذلك؟

- يعني ذلك أن تنتبه إلى طريقة تفكيرك ونظرتك للحياة، بدل أن تنتبه إلى

تفاصيل لا تعني لك شيء ولن تفيدك أبداً، وستصل بك إلى الصراخ كما فعلت قبل قليل.

في تلك اللحظة شعرت بأن شيء ما يتحدث داخلي، وكأنني اقتربت من نفسي أكثر.. ثم قلت: لقد كبرت وصرت شاباً.. غير أني عاجز عن إنجاز شيء في حياتي.. شيء يدل علي.. شيء يحكي عني..!

- ولماذا أنت عاجز ؟ ما الذي تنتظره .. ابدأ الأن ..

- كيف ابدأ ولا توجد عندي أية فرصة .

- لن يكون هناك أبداً وقت في حياتك لفعل شيء عظيم طالما أنك تنتظر. إذا كنت تنتظر الفرصة المناسبة، فهي لن تأتي. عليك أن تصنع الوقت المثالي للفرصة المثالية.

- كيف أصنع فرصتي؟

- قم بفعل شيء تحبه.. كافح للوصول إليه حتى ولو واجهتك الكثير من الصعوبات من قريب أو بعيد..

- وإن كان ما أريد بعيداً عني.. وإن كان ما أريد في طريق المستحيل؟

- إن العقل لا يفرق بين الحقيقة والخيال.. وإن كنت من الأشخاص الذين يغذون خيالهم بكلمات سلبية مثل قولك (لا توجد فرصة، ومستحيل، ولا أعتقد أنه بمقدوري، ولم أعد أستطيع أن أكمل بعد كل ما شاهدت وما ممر بي، وكيف أفعل ذلك وأنا لم أتعلم، وأن الواقع مريض.. وأن الماضي كئيب .. ..)

لن تصل إلى أي شيء تريده.. وسينتهي بك الحال حيث الآن ..
إن تنمية الخيال في الإنسان ضروري، ليس كـــأداة للهروب من الظروف الصعبة، وإنما كـــ أداة لإنهاء هذه الظروف الصعبة..
إن كان ما تريد طريقه صعبة، فحاول أن تقترب منه أو تقربه بخطوات من السعي إليه.. وفي النهاية ستصل إليه، وعلى قدر خطواتك سيكون وقت لقائك "فـــإن كل لحظة سعي هي لحظة لقاء بالتأكيد" ولا بد لنا من الكفاح.

للحظة مرت صورة أمي في ذهني.. ثم قلت: لا أعتقد أن ذلك ينفع معي.. فأنا لا أملك وقتاً للقيام بكل هذه الخطوات ، ولا طاقة لي. لقد مررت بالكثير من المواقف القاسية، والمجتمع لا يرحب بمن هم في مستواي المادي والعلمي، الغني وحامل الشهادات فقط هم المحترمين والمرغوب فيهم. كثير ما قلت لنفسي: لست في المكان الصحيح يا بروميثيوس.. فكل من حولك لا يقدرونك ولا يحترمون قدراتك، ولا يفهمون طريقة تفكيرك، فما فائدة سعيك وكل من حولك يصورك بأنك منجرف نحو مشاعرك فقط دون التفكير فيها بعقل..
- إذا كنت تشعر بذلك، فهذا ليس له علاقة بالنظام الذي يسير عليه الأخرين.. لكن له علاقة بحقيقة واحدة وهي أنك لم تقدم التضحية لأجل ما تريد.. لأجل فرصتك.. لأجلك.. وأهم من ذلك كله لأجل مهمتك.
- ما ذا يعني ذلك ؟

- عليك أن تسافر .
- أسافر !! إلى أين ..؟
- إلى حيث تريد أن تكون.. إلى حيث تسمح بالوقت أن يتحرك.. إلى حيث العالم الذي ستعيش فيه وتشعر بالحياة عليه .. إلى حيث أصل وجودك .. وجودك الذي ستعيشه أنت فقط ولا علاقة لمن حولك به ..
- ولمَ عليَّ السفر ؟
- لأنك إنســـــان على هذا الكوكب ، وتملك مهمة ، وعليك إنجازها ، ولربما هذه المهمة لا تسكن في هذه المدينة ، لذلك اذهب وفتش عن مهمتك، عن استخلافك، عن سبب وجودك، عن ما تحب أن تقدمه للإنسانية ويعرفك به العالم.. اذهب إلى حيث وجود معنى لأنفاسك بدل هدرها هنا وقتل نفسك بلا قيمة لشيء. افرد جناحيك وحلق إلى حيث المعنى لحياتك.. إلى حيث تريد بدل الصراخ في وجه الطبيعة والبقاء دون حراك بائساً مستسلماً وفاقد لأي جواب عن تساؤلاتك الملحة .
- لا أستطيع .. فالحيــاة أصبحت صعبة هذه الأيام .
- بروميثيوس! نحن لم نأتي إلى هذا الكوكب لكي نتوقف مع ما يصيبه من قدر, لقد أتينا إليه لكي نغير قدره. والخوف من الصعوبات والصدمات الجديدة لن ينفعك.. لأن الفرح والحزن في أصل الحياة.
الصعوبات في كل مكان يا صديق لا تكذب على نفسك.

سأتركك الأن وسآتي بعد أيام لكي أعطيك شيئاً ما!!؟

- متى ؟

- لن تعلم بمجيئي طالما أنك حبيس ماضيك .

بالمناسبة .. أسمي زيوس، وأنت مدين لي بشيء.. أراك لاحقاً.

***

يتعين علينا أحياناً السفر بعيداً للعثور على ما هو قريب .

باولو كويلو

كل شيء بدأ في أحد أيام أبريل، حل المساء. فكرت بأن أقضي الليلة تحت الشجرة.. بسطت ردائي على الأرض.. تمددت وقبل أن أغفو فكرت بـ*زيوس* لقد حرك كلامه شيء ما في داخلي أشعرني بالقلق. أدركت أن الأمر لن يكون بهذه السهولة، فهو لا يعلم بما حدث لي في الماضي.. نظرت إلى الشجرة وقلت في نفسي: لا بد وأن لكِ من العمر ما يفوق المئة عام، لو أنني لم أستمع له. كم أغبطكِ فأنتِ لست مضطرة إلى ترك المكان، وبذلك لستِ في حاجة إلى التفكير في اتخاذ قرار معين يُشعر بالقلق. أنتِ لا تشعرين بعقبات الحيـــاة، نحن البشر من نشعر بها.

لا أستطيع أن أسافر بعيداً عن أمي.. لا أتصور أبداً أني في يوم من الأيام سأبتعد عنها. أنا لم أنسى ذلك اليوم الذي أخبرتني فيه بأنها ستكون بجانبي كما سأكون أنا بجانبها. أشعر وكأني وسط متاهة معقدة كل يوم تتشكل من

جديد.. فكلما اقتربت من حلٍ للغزها خلقت لي لغزاً أخر لتبتعد ويصبح الحل أصعب. بدأت أفقد قدرتي على الاستمرار في هذه الحيـــاة. الشيء الوحيد الذي تعلمته منكِ، هو عدم مغادرتك المكـــان. هل ينبغي أن أكون مثلك..؟؟ أظن أن لا خيـــــار لدي.

بعد أسبوع جاء زيوس إلى المدينة، كانت مقفرة تماماً. سار ساعات طويلة حتى وصل إلى منزلي. قرع الباب مره، وثانية، وثالثة.. وحده الصمت أجابه. فراح يبحث عني.. وبعد طول بحث عثر عليَّ في مقهى يقطن وسط المدينة. انتظرني في الخارج إلى أن خرجت.

لم أتوقع قدومه. عندما رأيته أشار إلي بأن أسير..

أوغلنا في المسير دون أن ننبس بكلمة.. كأنه أراد الوصول إلى مكان مناسب لنتحدث فيه. كنت مشغول البال بالسفر.. هل سأتخذ القرار المناسب..؟ أحياناً أتمنى أن يأخذ أحدهم القرار بدلاً عني، أي شخص المهم أن لا أكون أنا.

بدأ الملل يتسلل إليّ.. كان يسير ببطء.. نظرت إلى ساعتي أكثر من مرة.. وكلما نظرت إليها وجدتها تمر ببطء أكبر.. بدأت أشعر بأني سأفقد أعصابي.. رأيته ينظر إليّ ولكنه لم يكترث.. فخطرت لي فكرة أن أتذكر مواقف تنسيني ما أنا فيه ولكن دون جدوى.. إني عاجز عن التركيز.. تحدوني قناعة بأنه يتعمد فعل ذلك. حاولت أن أتجاهل كل ما بداخلي.. حاولت من جديد إلى تكريس

اهتمامي للمناظر.. لصوت الطبيعة.. لأي شيء غير السير ببطء.. لكن دون جدوى..

وعندما نفد صبري.. توقف متلفتاً حتى جلس على صخرة.. ثم أخذ يمسح نظارته ويفحصها ليتأكد من نظافتها. أنزل حقيبته الجلد من على ظهرة وأفرغ ما بداخلها.. لقد كانت تحمل الكثير من الكتب المتنوعة والأقلام والأوراق..

شرعت إلى مراقبته بصمت.. كان هادئاً جداً.. لا يأتي بحركة غير القراءة دون أن يتحدث بشيء. لقد انكب على الكتاب يتصفحه، وكنت مندهشاً منه ومن سرعته.. لا بد وأنه تعلم الكثير من هذه الكتب.. الهدوء.. السعادة..

الاطمئنان.. السلام الداخلي الذي رأيته في عينيه!! أظن أنه اكتسب كل هذه الأمور وأكثر، من القراءة. وأعتقد أن الأمر أكثر من مجرد قراءة فقط، لابد وأنه واجه الكثير من المتاعب ليكون على ما هو عليه من السلام. كنت أحاول أن أخلق أي حديث معه ولكنني لم أستطع.. لأنني كنت أخشى بأنه يختبرني بذلك.. صحيح أنه لم يتكلم معي بكلمة واحدة، ولكن تصرفاته لم تكن تثير اشمئزازي، بل بالعكس لقد زادت من قدره عندي. لقد أحببته دون أن أشعر. تمنيت في تلك اللحظة أن أصل إلى ما وصل إليه.

وللحظة أخذتني ذاكرتي وذهبت بكل حواسي إلى أجمل حوار دار بيني وبين أبي.. الحوار الذي جعلني قريباً منه.. لقد غدوت بعيداً عما كان حولي.. حتى أنني نسيت أمر زيوس.. لقد كان المنظر من حولي رائعاً لم أنتبه له من البداية..

لقد أخذني نسيمه إلى حيث كل جميل في زوايا ذاكرتي..
قال: بني! (لكل شخص طريقته في الكتابة غير كتابة الحرف.. فليس الكل يقرأ.. ولكن الكل يكتب بطريقة ما.
سُئِل النحات (مايكل) ما سبيله إلى خلق تحف بهذه الروعة. أجاب: (الأمر بسيط. عندما أنظر إلى كتلةٍ من الرخام، أرى المنحوتة التي بداخلها. فلا يبقى لي سوى تجريدها من الزوائد).
مايكل كتب على صفحة العالم عن طريق نحت الرخام وتحويله إلى تحفة رائعة!! وهذه طريقته في الكتابة.. وأمك تكتب على صفحة العالم حكاياتها التي خلقت منك شخصاً موهوباً.. وإدارتها للمنزل والعمل واهتمامها بي وبأخوتك هي كتابة أيضاً ولكن بطريقتها.. ومن وجهة نظري الكتابة مثل البصمات لا تتشابه. ولكلٍ منا طريقته في الكتابة على صفحة العالم.. فلتبحث بني على طريقتك الخاصة.. لأن الكتابة عمل يجب القيام به. فهي مركز حياتنا وسعادتنا. وهي الطريقة الوحيدة للعيش بكرامة. وإذا آمنا بقدرتنا وموهبتنا، يمكننا أن ننجح في المهمة التي أوكلت إلينا.. لأن في الكلام قوة، وفي العلم قوة، وفي العمل قوة وتغيير للعالم، وللحضارة، وللإنســـــان).

أدركت في تلك اللحظة أن حياتي بلا معنى.. مع أنني سمعت هذا الكلام من أبي في الرابعة عشر من عمري.. ولكنني لم أعرف قيمته إلا في هذه اللحظة.. وبعد

مقابلة هذا الشخص الغريب الذي أظنه قدري!!
وفجأةً قطع * زيوس * حبل الصمت قائلاً : في أحدى السنوات الماضية، قابلت شخصاً في أجواء خريفية ماطرة يدعى *جيم* تمنيت بعد أيام من معرفته ، أنني لم أعرفه.! كان ذلك في بداية الأمر. لكن عندما عرفت الحقيقة تغيرت وجهة نظري. فبعض الأمور قد لا نراها في بداية الأمر على حقيقتها.. قد تحمل شيئاً آخر غير الذي رأيناه.. وقد يكون مقصد حدوثها غير ما تصورناه في أسطح أفكارنا.. فتكون بذلك نظرتنا الأولى لها ليست صائبة.. لأن حكمة الله بالغة.
ولأنه كان غريب الأطوار، وكنت دائماً أفكر في التخلي عنه، بيد أن هناك أمراً ما خفي لم أعلم به، أمرٌ كان يلحُ عليّ بأن أظل خلفه. من هذا الأمر تعلمت أنه ليس كل ما نراه حقيقة، وأن وراء كل حدث حكاية نجهل خيوطها.
وفي أحد الأيام كنت جالساً على طاولة مع الأصدقاء في مقهى قريب من الجسر الكبير، وبالمصادفة رأيته جالساً على الطاولة التي أمامي، لم يكن يجلس معه أحد، فطلبت منه أن ينضم إلينا إذا أراد الانضمام. لقد شعرت بمدى وحدته. ولم يتردد في الانضمام. وبينما نحن في وسط الحديث، قام واستلقى على ظهره غارقاً في الضحك، يتحدث في أمور غريبة لا علاقة لها بالأمر..
كان مشهداً أليماً بالنسبة إليّ.. قلت في نفسي: ما الذي تذكره ليدخل في موجة

من الضحك الهستيري؟.. البعض كان يضحك بصمت، والبعض الأخر اعترتهم الدهشة.. أما أنا فقد كنت متأثراً بما حدث له.. ثم فجأة توقف، وشرع يتحدث بلغة أخرى وقتاً طويلاً، تنم عنه بين الحين والأخر تنهيدة عميقة.. وحين بدأ صوته يتلاشى، ألقى نظرة على الجميع، ثم أتجه إلى الخارج مطأطأً الرأس بعينين دامعتين وغادر مسرعاً..

سكت الجميع!! وفي تلك اللحظة راودني شعور غريب دفعني إلى الخروج خلفه، بحثت عنه ولم أجده، لقد طمس الحزن قلبي، وشعرت بشيء ضخم يحبس أنفاسي، لقد تمنيت لو أجده لأتحدث معه قليلاً.

ثم شرعت مرة أخرى في البحث عنه ولكن دون جدوى!! وكأنه لم يكن!!..

عدت إلى الطاولة، لكن صورة عينيه الدامعتين لم تزل محفورة في ذاكرتي، وكأنها الشيء الوحيد الذي تبقى فيها.

وفي ظهر اليوم التالي كنت أشرب القهوة وأنا أنظر من نافذة غرفتي إلى الشارع الخلفي.. حينها دهُشت..! لقد رأيت جيم جالساً على رصيف ضيق في أحد الأزقة..

خرجت إليه مسرعاً وعرفت منه أنه قضى الليل كله خارج منزله، حتى حلت الظهيرة، ولم يشعر بنفسه إلا وهو على الرصيف. بدا لي تائهاً، متعباً، ومكسور الخاطر.. فقال بلهجة حزينة: لم أكن أقصد ازعاجكم والتفوه ببعض الحماقات، اعترف بخطئي.. ثم التفت إليّ وأردف قائلاً: كم هو مؤلم جداً أن

تعيش وحيداً في هذا العالم، لا أهل، لا أقارب، لا أصدقاء، ولا أنيس. عندما يقضي الإنسان كل وقته صامتاً لا يتحدث مع أحد، ولا يجد من يتحدث معه يشاركه أفكاره، أفراحه، وحتى همومه، يبدأ بالبحث عن شيء ليقتل به أهم شيء يملكه، وهو (الوقت) حتى لا يشعر بالمزيد من الألم.. والوحشة.. والموت الداخلي..

لقد وصلت حياتي إلى نهاية مسدودة.. لربما أنا من أوصلها إلى نهاية كهذه لأنني فقدت الشعور بنفسي وسمحت لكل ذلك بالحدوث لي.. كثير من الفرص جاءت لكنني لم انتهزها.. أنت كنت أخر فرصة لم تتخلى عني وأنا سعيد لأجل ذلك.. لكنني أنا من تخلى عنها.. لأنني لم أتكيف على العيش وسط الناس.. ولا أملك القدرة والعزيمة على تغيير ما أنا فيه. لقد اعتدت على روتينية حياتي الكئيبة وأصبح من الصعب التخلي عنها. لقد برمجت ذاتي على لغة السقوط وأدخلت معلومات غير صائبة.. وكان مني اختيارها..

ليت بـــاستطاعتي افراغ ما تراكم في أعماق نفسي.. ليت باستطاعتي البدء من جديد. في النهاية ستظل أنت رغم كل ما حدث لي محطة جميلة في حياتي، ستظل صورتك عالقة في ذهني ما حييت.

ثم مضى.. لقد لامست كلماته شغاف قلبي..

- ما أصعب ذلك.

- نعم. إن الكثير من الناس في هذا العالم يبحثون عن الأشياء الجديدة،

فبمجرد حصولهم عليها، تجدهم يظلوا على حالهم.

- ألا يعني هذا استقرارهم ؟

- ليس دائماً.. فأحياناً يكون استسلاماً كما حدث لــ جيم.. فـليس كل جديد صالح، قد يكون الجديد طوفاناً.

- أيعنى ذلك أنني أشببه!! أنا لا أريد أن أترك المدينة.

- ينبغي أن تعيش مستعداً لمجابهة مفاجأة الحيــاة، فمهما كُنت ترغب أن تبقى الأمور كما هي، فهي لن تدوم على حالها. فالحياة محكومة بالانتهاء. ولهذا عليك أن تتعلم (قبول أو رفض) التغيير بوعي.. واستقبل طريقك الجديدة بمتعة لتتعلم منها وتستفيد.

- ليس سهلاً أن أجعل من رحلتي ممتعة .

- أجل أعلم. فعندما نقوم بأولى خطواتنا يتملكنا خوف شديد من الجديد المجهول الذي قد لا نرغب بحدوثه معنا. في هذه الحالة ينبغي لنا أن نفكر بشجاعة.

- أصبحت أحب العيش وسط المتاهة. يكفي بأنني أقضي بعض الوقت في التفكير بها، حتى وإن كان ذلك لا يُجدي.

- إذا بقيت تفكر بهذه الطريقة سينتهي بك المطاف كما انتهى بــ جيم. اسمعني جيداً.. قد ننهمك بأمورٍ تافهة تبدّد أحلامنا، لكن هناك أمر مهم علينا أن نحافظ عليه كما نحافظ على أرواحنا، وهو أن نحيا مهمتنا فهي من

ستوصلنا إلى ما نريد. لا هدف من المكوث في الزمن.. اذهب وجرّب لعل تلك المتاهة التي تعيش في داخلها زمنية. لعل الأوان قد آن أن ترحل فقد أفسدتك الرتابة.. وخلقت منك جباناً.

- إن حياتنا لا تستحق العناء.. فالفوضى في كل مكان..

- وإن كانت كذلك، فيجب عليك أن لا تتراجع وتترك الفرصة لغيرك بأن يقودك نحو السواد والمزيد منه .

- أرشدني أنت ، لا أريد أن أتخذ قراري .

- لا تسمح لأحد أن يتخذ قراراتك بدلاً منك، أتخذ أنت قراراتك بنفسك، وإلا صعبت عليك أمور كثيرة في الحياة .

* بدأت أفكر في الأمور التي تقلقني!! وفي المجهول الذي ينتظرني عند كل مفترق!! وبـــاصطدامي بالواقع المر بعيداً عن كل من حولي!! وبرأسي المثقل من طول التفكير في قرارات لم استطع حسمها!! وبصعوبة التخلي عن الأمور الروتينية التي جعلتها من أولويات حياتي!! وبمرور الوقت والمزيد منه وحيداً!! وبـــالسكون الذي يخيم على المكان الغريب الذي لا أنتمي إليه!! وبـــ ساعات الليل الثقيلة!! وبـــ مسؤوليتي في هذه الحياة ... ...

- لا أستطيع .

- أعلم أنك تفكر بما ســـتواجهه في طريقك .. فاليوم الذي ستصل فيه إلى مدينة أخرى سيكون مختلفاً لا يشبه اليوم في مدينتك. ستشعر بالضيق

وستفكر كثيراً بـــالاستسلام لأنك ستتابع وحدك في رحلة طويلة لن تنتهي بسهولة.. وستصادف الكثير من الوحوش في داخلك وفي واقعك أيضاً.. ستعد الساعات.. وستشعر بالحال ثقيل الوطء.. يفوق قدرتك على الاحتمال. لكن ذلك سيزول تدريجياً إذا استطعت فهم ذاتك. في النهاية ستجد ذلك ممتعاً. المشاكل والآلام لا تبقى مشاكلاً و آلاماً إلى الأبد.. بل تتحول إلى شيء أخر.. إلى تجارب تجعل منا نتخطى حدودنا. لا تكن أسير شخصيتك المحدودة.

- ماذا أفعل لو فكرت في الاستسلام؟ ماذا لو تعرضت للكثير من المتاعب والآلام ولم أستطع أن أكمل؟

- لا تفكر في جراحك أنها قاتلة. إذا أردت البقاء قوياً فكر في جراحك على أنها مصدر قوة لك وليست مصدر ضعف.

*هممت بأن أجيب بالموافقة ولكني لم أستطع .

لا تنظر إلى العالم بمنظار من يريد أن تحدث معه الأمور كما يريد، بل انظر إليها كما تحدث في الواقع. ألا تريد أن تكون ما تريد وحيث تريد.. عش مهمتك وستجد في دربك الكثير من الكنوز.. ستبحر في هذه الحياة وستحب الكثير من التجارب التي ستجعل منك شخصاً أخر قادراً على فعل الكثير. ما أجمل أن يكتشف الإنسان قدرته في الحيـــــاة.. وما أجمل أن يكتشف ذاته التي سيوصله اكتشافها إلى السلام الداخلي.

أنظر حولك.. ولا تحجز نفسك في دائرة ضيقة تعيقك كلك فبداخلنا الكثير..

وإذا رغبت في فعل شيء بقوة فستصنع المعجزات. فكر في رحلتك.. لربما كانت الرحلة الأخيرة لك.. عشها هكذا.. فالعالم الكبير الذي يحتوي على الغابات والمساحات يحتاج إلى كثير من الأفكار المختلفة.. والبلايين من الاختراعات المبتكرة.. كن أول إنسان يقدم شيئاً للعالم.. كن أول شخص يحقق ما لم يحققه شخص آخر. هكذا هي الحياة.. إن لم نستمتع بكفاحنا وجهدنا لن تكون رحلتنا ممتعة.. وسنفتقد ذلك الشعور العظيم.. شعور النصر على الحيـاة.

قال أحدهم مرةً وهو يحكي عن نفسه: سبق وأن رأيت الموت.. وكان ذلك يوم التهم اللهب إحدى المنازل. لقد رأيت أشخاصاً بائسين وهم يحاولون الهروب.. وقد حدث لي أن أخاطر بحياتي لإنقاذهم. لم يكن من السهل عليّ إقناع نفسي في تلك اللحظة -وبسرعة- بالمخاطرة بنفسي.. لكن عندما فكرت بأنني لست سوى ذرة في هذا الكون الواسع.. وأحمل بعض المهام التي علي أنجازها.. رأيت أنه بإمكاني القيام بتلك المهمة وإنقاذهم طالما أنها حدثت أمامي.

* فابيوس ماكسيموس * قائد في جيوش الإمبراطورية الرومانية. عندما قرأت قصته لأول مرة ، لم يخطر ببالي سوى تلك اللحظة الفارقة في حياته ، عندما قُتل ابنه وزوجته ، وتم حرقهم .. لم يستسلم ، لأن روما هي بوصلته التي

تحركه ، البوصلة التي جعلت منه من جنرال إلى عبد إلى محارب ومن ثم إلى منقذ روما. رغم الحياة البائسة التي لا توحي بالوصول إلى شيء يستحق العيش من أجله ، عاش من أجل روما وشعبها.

وهكذا انتهى اللقاء الأخير بيني وبين زيوس.. فبعد ما أنهى حديثه ترك لي ورقة صغيرة تحمل عنواناً لشخص يدعى أدونيس؛ ثم رحل.
ولا أنسى في ذلك اليوم حين مرت بخاطري تلك الكلمات التي قالها الكاتب باولو كويلو: **غالباً ما يستخدم الله الأخرين ليخبرنا بشيء ما.**

***

نيسان - برايتون - في محطة قطار برايتون Brighton Station .

على مقعد الانتظـــار، قبل ساعتين من المغادرة.. بدأ رأسي يدور.. كيف سأبدأ أول أيامي..

تعودت الحياة التي أعيشها.. ولست بتلك الشجاعة التي ستحتمل المزيد من الصعوبات والتحديات والمتاعب، أريد الوصل إلى السلام الداخلي، ولا شأن لي بالباقي من الأمور. كم أنا محبط.

نظرت إلى الأعلى وفكرت.. لي حرية التخلي لكن ثمة ما يدفعني لعدم التراجع، لا يمكنني العودة الأن بعد الحديث مع زيوس.. لا أملك جراءة تمكنني من النظر في عينية لأنه على حق.

بدأ القطار بالاستعداد. وقبل مغادرتي مقعد الانتظار.. رأيت زوجة تصرخ في وجه زوجها. ما مشكلتك ؟ كُفّ عن تمنعك!! الـــهذه الدرجة الأمر صعب..؟ أنت تتصرف كـــعاجز..

أسررت في نفسي أنني أشبه هذا الزوج. أعتقد أنني بحاجة إلى هذه المغامرة.. والوقت لا ينتظر أحداً.. وهناك العديد من الطرق ويجب عليَّ الاختيار بشجاعة وتحمل مسؤولية ذلك الخيار.

أن تكون مقتنعاً بأن ما تفعله مضيعة للوقت يجعلك تفكر بطريقة مختلفة .. لا حل أمامي سوى أن أشق طريقاً جديدة ، لأن عبور طريق الاعتيادية بدا لي مشروعاً لا فائدة منه .

بعد مرور أربع ساعات وصلت إلى منزل أدونيس.. وإذا به يخرج من منزله يقول لي من بعيد بروميثيوس؟

قلت له: أجل.

- لقد كنت بانتظارك. تفضل. كل شيء مهيئ لك. تصرف وكأنك في بيتك.

- شكراً لك. هل لي بكأس من الماء.

- بالتأكيد. اجلس.

جلست وأنا أحدث نفسي!! منزل غريب!! ما الذي خطر ببال مصممه!! وكيف استطاع بنائه بهذه الطريقة!! الجدران، النوافذ، الأبواب، الأثاث، الإنارة، اللوحات، المداخل، كل ذلك مبني ومرتب بطريقة مختلفة وغريبة.. وكأن كل شيء فيه مدروس وله لغز ما!! كل شيء يبعث للهدوء والتأمل والغرابة.. عجيب هذا الأدونيس..!!

- تفضل. الماء الذي طلبت.

- شكراً . منزلك غريب!!

- في الحقيقة ليس منزلي. هو منزل صديقي، توفي قبل عامين ، فانتقل ابنه ليسكن فيه بعد وفاة والده، ولكن ابنه خلق لنفسه طرقاً جديدة، فما كان منه سوى أن يطلب مني أن أسكنه..

- كيف له أن يترك منزل كهذا بمجرد أنه خلق لنفسه طرقاً جديدة..؟

- بعد وفاة والده اعتزل الناس. وظل شهور لا يكلم أحداً ولا يخرج من المنزل. ويوم قررت زيارته أخبرته أن ما يقوم به ليس صحيحاً، نحن نشعر بما يشعر، لكن الحياة لا تنتهي بمجرد موت أحدهم. فقال لي حينها: لم يكن والدي يملك مالاً يمكنه من بناء منزل. بعد أن رسم تصميمه بنفسه قلت له: ألا ترى بأن الأمر مستحيل!! فأنت لا تملك دخلاً يمكنك من بناء منزل كبير كهذا.

فأخبرني بأنه لا يهمه إن كان حلمه غير واقعي أو مستحيل.. فهذا حلمه ولن يستسلم أبداً. كان يؤمن بأن لديه طُرق أخرى تحمل الكثير من المفاجأة. لقد خلق بقلبه وعقله واقعاً جديداً لحلمه.. ولأنه يريد أن يفعل شيئاً تحرك لجعل ذلك حقيقة.

بدا الأمر على مراحل، كثيراً ما تعرض للخسارة، فقد صادفته تجارب عديدة وصعبة ومحبطة ومملة ولكنه لم يستسلم.. يومها أخبرته بأنني لا أريد حلمه بل أريده هو.. لقد أصبحت أخشى عليه من حلمه. فلا أريد أن أخسره بسبب ما يتعرض له .

فقال لي: (يجب علينا أن نكافح من أجل ما نريد في هذه الحياة.. لأن ذلك يعبر عنا وعن سعادتنا وعن أنفسنا وعن وجودنا.
من واقع خبرتي,, المال ليس كل شيء، يمكننا ببعض المواد بناء منزل لا يخطر ببال أحد. إن فكرة بناء المنزل لها طرق ممكنة، فعندما بدأت أول خطواتي وجدت بأن هناك الكثير من الطرق التي لربما أوصلتني إلى فكرتي..
وما تراه الأن من خسائر ما هي إلا طرقي التي أجربها وأنظر فيها.. وأعلم أية طريق هي الموصلة.. وإن كنت وجدت عكس ذلك.. أي أن لا سبيل إلى الوصول لوجدتني تركت الأمر. ولكن لتعلم جيداً.. إن بدت كل الطرق المؤدية إلى ما نريد مستحيلة فلا يجب علينا أن نتوقف ولا نفعل شيئاً.. بل أن نحتفظ بطاقتنا لتكون في طريق أخر يحقق ما نرجوه.. لعل وصولنا ونجاحنا في غير ما أخترنا، لذلك لا بد من الكفاح والبحث والمضي قدماً نحو مهمتنا في هذه الحياة حتى لو واجهتنا عوائق جسدية أو نفسية.. حتى لو خسرنا أشخاصاً وفقدناهم.. لا بد وأن يكون لكل واحد منا أمر يزرعه في هذه الأرض..
كلنا مغادر فأبحث عن زرعك يا بني، فأنت من يخلقه عظيماً أو عادياً. أنت من يجعل لكل أيامك قيمة).

لقد تجاهل أولئك الأشخاص وما يقولون له، أن عليه أن يفعل الشيء الأذكى ويبحث عن وظيفة لأن فكرة بنائه منزلاً -غبية- لأنها غير ممكنة.

كان يملك هدفاً جعل كامل تركيزه عليه.. هو يريد أن يقدم شيئاً فقط.. وهذا الشيء -على الأقل- لا بد وأن يكافح من أجله. كان مستمتعاً لأنه كان يعيش لأجل شيئاً ما.

في النهاية توصل إلى مراده.. لقد اختار موقعاً مناسباً بحيث أن عدداً كبيراً من الزوار لا يترك المدينة إلا وقد زار هذه التحفة المتمثلة في منزل. لقد بنى أفكاراً وليس منزلاً فقط.

كل شيء مدروس بطريقة رائعة .. ففي كل غرفة وضع نافذتين، نافذة لتستمتع بشروق الشمس في فصل الشتاء، ونافذة في الاتجاه الأخر بحيث يمكن للهواء أن يدخل في فصل الصيف.. وأيضاً تلك الغرفة الخاصة التي صممها للقراءة فقط وقد أدهش بها الكثيرين عندما أجريت عليها العديد من الدراسات والتي كانت جدرانها تحتوي عازلاً للصوت.. بحيث تستمتع بالقراءة والتأمل. كم أحبَ القراءة والجلوس لساعاتٍ طويلةٍ وحده يتأمل.

هذا هو أبي.. ربما يبدو الأمر بالنسبة للكثيرين لا يميزه شيء لكنه حقق ما كان يشغله ولم يتركه من غير أن يُجيب عليه، لقد استمع إلى قلبه، ولم يرحل من غير أن يترك لنا في هذه الدنيا شيئاً يذكرنا به.

لم أكن أعلم قبل وفاة أبي أن الميت يرحل ويرحل ذكره، إلا إذا خلد معنىً قبل رحيلة. وأبي خلد الإبداع في تحقيق المستحيل والاصرار في نفسي.

وبعد مرور أسبوعين من تلك الزيارة.. طلب مني أن أنتقل إلى منزل والده.. وأنه سيكون ممتناً لو أذعنت لطلبه. لم أتردد.. فقد كنت أفتقده أيضاً.
أما هو فقد قرر أن يسافر ليكمل دراسته في الهندسة، فلا شيء سيصعب في نظره، لأن موت والده كان أصعب شيء واجهه في حياته. ثم أنه لا بد من شق الطريق، فالتوقف في مكان لن يجلب السعادة.

- يا لها من قصة غريبة .

- أجل . أخبرني كيف كان سفرك ؟

- لم يمكن سيئاً . لكن فكرة السفر كانت سيئة بالنسبة إلي. أما الأن فـأعتقد أنه بإمكاني أن أكمل طريقي، بالنهاية لا اتخيل نفسي جباناً. وكما قلت التوقف في مكان لن يجلب لنا السعادة.

- نعم أجل.. فحياتنا رحلة مستمرة، تحمل الكثير من المحطات ومفترقات الطرق التي قد نولد فيها من جديد.

كل شيء في هذه الحيـــاة يسافر، يتحرك، يتغير، لا شيء يبقى على حاله، الكل يمضي، مرحلة تلو أخرى.. احتياجاتنا، الناس، العالم حولنا، الطبيعة. ما نفعله الأن ليس سفراً إنه مجرد تغيير بلدان.

* لجزء من الثانية شعرت بوجود زيوس وتذكرت حياتي المتوقفة. إذا لم أتغير!! إذا لم أغير في العـــالم شيء!! فهذا يعني أني متوقف تماماً.. فكل شيء في هذه

الدنيا يتحرك.
وفي اللحظة التي كان فيها أدونيس يتحدث كنت سارحاً في لحظة من لحظات الماضي.. في طفولتي.. يوم أخذتني أمي إلى الطبيب الذي أخبرها ببعض الكلمات التي لم أفهمها، كنت في السابعة من عمري، فقط أتذكر كلمة واحدة، وهي (لا يكبر!!).
لم أهتم بالأمر.. فقد كنت صغيراً على فهم حديث دار بين كبار. لكن في اعتقاد طفل ظننت أن ما حدث اتفاق مراوغ بين أمي والطبيب، لإقناعي بأي أمر أرفضه.
بعد ثماني سنوات، فهمت تلك الكلمات، عندما ارتديت ما كنت أرتديه في سن السابعة، ووجدته كما هو.. لم أحتاج إلى فرد ثنية -الجينز- بعد أن قامت أمي بخياطته. اليوم أفهم معنى أن تتوقف في زمن والناس في أخر.. أنا توقفت في سن السابعة، وكل من حولي يتغيرون في أطوالهم.. أحجامهم.. ملامحهم.. إلا أنا..
كنت بجسد عمره سبع سنوات، ولكن الزمن يشير إلى مرور ثماني سنوات..
كنت أشعر بالإحراج!! كنت أشبه ظاهرة غريبة ظهرت في التاريخ.
وفي مدينتي.. فرضت على نفسي منفى وتوقفت إلى أن جاء زيوس. كنت أعيش حياةً خاليةً من أيّ مشكلاتٍ حتميةٍ تنشأ من العيش مع بقية الناس. أنحصر عالمي في بضعة أصدقاء -عمل- وأنَّ بقية وقتي لي وحدي.
زيوس هو من شجعني على المضي في هذه الرحلة لكي أفهم أنَّ دربي منعكس في

عيون الآخرين.

- بروميثيوس هل أنت معي..!!

- هه.. نعم معك. أشعر بأنني متعب.

- لا بأس. يمكنك أن ترتاح في غرفتك، وإن لم ترد البدء في العمل غداً فلا بأس.

- لا. سأكون معك في الغد. فأنا أريد أن أعمل في أي شيء حتى لا أشعر بالضجر.

اِستيقظَت متعباً أبكر كثيراً من المعتاد، فأنا لم اتأقلم بعدُ مع التوقيت الجديد. يجب أن استحمّ بسرعة وأخرج لتناول القهوة، فاليوم هو أول يوم لي، ولا بد وأن أقدم أفضل ما لدي.

بعد أن انتهيت خرجت إلى المقهى وطلبت القهوة.. جلست على أحدى الطاولات.. ومع مرور دقائق بدأت أشعر بالقلق بمجرد ما وجدتني محاطًا بـــأناس لا يشبهونني في شيء..

ملامحهم غريبة.. يتكلمون لغة لا أفهمها جيداً.. يتصرفون بغرابة وغموض.. ويخفون وجوههم خلف ورق الجرائد.. وكأنهم في مزاج سيء.. يجب أن أتجاهل ما يدور في رأسي من وساوس.. علي أن أفكر بعملي فقط.. لربما ما أره غريباً يراه من حولي عادياً وروتيني. سأعمل من اليوم مع أدونيس ، سنصطاد السمك ثم سنقوم ببيعه.

وفي أثناء خروجي من المقهى رأيت شخص يلوح لي بيده.. متوسط الطول.. بقامة نحيلة.. تبدو عليه علامات البؤس والشقاء .. شعره أشقر.. له وجه مستدير.. بعينين واسعتين.. ولحية خفيفة.. وعندما اقترب مني سألني:

- هل أنت من هنا؟

قلت له: لا. وصلت بـــالأمس.

- أين تقيم؟

- عند صديق لي بيته أمام المقهى في الشارع المقابل.

- في منزل أدونيس..؟!

- نعم. أعتذر منك يا أخي.. أنا مستعجل إأذن لي. لقد وعدت أدونيس أن أذهب معه ولن أتأخر عليه.

- حسناً، أراك لاحقاً .

وعندما وصلت إلى المنزل، وجدت أدونيس قد ركب سيارته وهو في انتظاري.. وبسرعة وحماس شديد ركبت السيارة.. ثم أخبرته عن الرجل الغريب الذي ظهر فجأة.. وطلبت منه أن يخبرني عنه ..!

فقال لي : إنه إيلغورت جاري مذ كنا أطفالاً.. توفي والده وهو في التاسعة من عمره. بعد وفاة والده أصبحت والدته مدمنة شرب الخمر.. وبسبب الفقر الذي كانوا يعانون منه صار طفلاً بائساً.. لم تكن حياته كما حياة الأطفال في مثل سنه.. ولم يستطع أن يتعلم.. فقد كان يقضي معظم وقته في حمل الأكياس

الثقيلة ومسح الأحذية ليعود ببعض المال.. ولكن والدته كانت تنفق كل ما يجلب من مال في شراء زجاجة الخمر. واليوم الذي لا يأتي فيه بالمال تضربه ليسرق لها زجاجة خمر.

كنا عندما نقابله أنا ورفاقي عند عودتنا من المدرسة.. لا يقول لنا إلا هذه الكلمات التي كانت تنغرس في قلبي مثل سهم مسموم يعذبني سمه ولا يقتلني.. (كم أتمنى أن أتعلم القراءة والكتابة مثلكم.. كم أغبطكم.. فلو تسمح لي الفرص سأتوسل المدرس وأقبل قدميه وأرجوه بأن يقبل بي تلميذاً عنده).

وفي أحد الأيام أخبرت أمي عن القصة.. فقالت لي: إنه بإمكاني أن أتي به إلى المنزل وأعلمه القراءة والكتابة.

وفعلاً قمت بذلك دون تردد.. وأخبرته يومها أن يكف عن السرقة وأنني سأحاول مساعدته.. وسأجلب له المال وسأطلب ممن لديه القدرة بأن يتكفل بأمر دراسته.. لكنه رفض وأخبرني أنه لن يستطيع الدراسة إلا بعد وفاة والدته!! تعجبت من قوله وقلت له: هل تتمنى موت والدتك.؟! فقال لي: (لا. لا أتمنى موتها أبداً.. لكنها هي من قتلت نفسها بذلك المشروب. لقد أصبحت نحيلة جداً ولا تستطيع القيام بأبسط حركة. كل يوم استيقظ فيه كنت اقترب منها فقط كي أشعر بأنفاسها لأعلم هل ما زالت على قيد الحياة.. هل سـأحظى بيوم أيضاً مع أمي التي اشتقت إليها.. أمي التي أريد أن أشاركها حزني ووجعي.. أمي القوية وليست الضعيفة التي استسلمت لشراب.. ولكن لا شيء من

هذا..

وعندما أعود أجدها على حالها مستلقية على فراشها دون حراك.. أنظر إليها ولا أدري ما الذي يجب عليّ فعله.. كما أنني لا أملك تكاليف علاجها.. ولن يرضى أحد بمساعدة إنسانة فعلت بنفسها هكذا.. لأنها بعد وفاة أبي لا تريد العيش أبداً. أما أنا فأصبحت أشعر بقرب أجلها.. وبدأت أُصبر نفسي على هذا الأمر الذي هو قدري، ولا أريد أن أفجع بها كما فجعت بأبي.. كم هي صعبة هذه الحياة.. ولكن هذا حالها.. ليس من جديد فيها.. لم نأخذ عهداً على صفوها).

وفعلاً.. مضت الأيام وتوفيت والدته. كانت حالته صعبة للغاية.. كل رفاقي قاموا بالحديث معه ليخرج من أجوائه الحزينة ولكن دون جدوى.. كان ينظر إليهم بعيون فارغة.. تنظر إلى البعيد دون أن تنطق بكلمة.

كنت في كل يوم أرسل له الطعام والشراب.. حتى جاء اليوم الذي صار يعمل فيه في المقبرة. وقال لي أن عمله في المقبرة لسبب. وهو أنه يريد أن يكون قرب أمه.

لم أتركه في أيام عمله كنت أخاف أن يقوم بأي فعل أحمق ولكن عندما يحل الليل كنت أودعه مضطراً وكان يراودني شعور سيء.. أنني سأفقده قريباً..

كانت أسعد لحظاتي تلك التي كنت أقضيها مع رفاقي.. حتى أنني برفقتهم أشعر برغبة عظيمة في مساعدة أي واحد منهم حتى لو لم تكن لدي قدرة.. لكن

مع إيلغورت كانت مساعدته أصعب شيء بالنسبة لي.. وكنت أشعر بأن الحيـــاة قاسية جداً لأنها لم تمنحني تلك القدرة في مساعدة من أحب.

ومع مرور الأيام جاء إلى منزلي وبدأ يتعلم القراءة والكتابة.. وكان فرحاً بذلك.. لكن الأطفال كانوا يسخرون منه لأنه لم يقرأ القصص التي كانت منتشرة أنذك ولم يكن يعرف بها أصلاً.. حينها بدأت في شراء القصص له واعارته بعضاً من كتبي.. وكان مسروراً لذلك.. حتى أنه في مرة من المرات صعدنا التل معاً.. وقال بصوت عالٍ: عنزة السيد سياغن.. فضحكت وقلت له: عنزة السيد سيغان. ضحك وقال لي: إن الحروف تخرج وحدها من فمي راقصه فرحة لأنني أقرأها وأخرجها من تلك الصفحات.. لتطير في الهواء مثل الطيور الحرة. ثم قال لي: (الأن وبعد أن أصبحت أجيد القراءة سأعمل في وظيفة أكبر).

كنت أنظر إليه وقد ملئ قلبي الحزن على حاله.. لقد شعر بأنه ملك الدنيا وما فيها عندما أصبح يجيد القراءة والكتابة.. لقد كان على الرغم من أعماله السيئة في السرقة.. إلا أنه كان يحمل قلباً طيباً.

وفي أول أيام العطلة، جاء رجل إلى المقبرة، ورأى عمل إيلغورت. سأله لماذا تعمل هنا؟ فأخبره أنه بحاجة إلى عمل.. فعرض عليه أن يعمل عنده سائق خاص وبستاني.. فوافق.. وكان ذلك أخر يوم لنا معاً.. لم نتقابل إلا بعد سبع

سنوات.

لكن بعد هذه المدة الطويلة.. تغير كل شيء. وعندما رأيته لأول مرة هنا.. ظننته سيفرح.. لكنه كان متبلد المشاعر في حين كنت أنا مشتعلاً شوقاً إليه.. لقد تغير كثيراً.. وأصبح شخص غير مبالي، منطوي، لا رغبة له في الحيـــاة.. دائم التضجر والشكوى.. تعيس.. لا يتحمل مسؤولية خطئه بل يحمّلك مسؤولية كل خياراته الخاطئة وما يحدث له من صعاب.

- ولماذا حدث له كل ذلك.؟!

- عندما يُسلم الإنسان قيادة حياته للأنا التي في داخله يحدث معه هكذا. إن إيلغورت لم يقرأ الكون بصورة صحيحة.. بل قرأه بصورة معكوسة.. وصار يأخذ ما هو مسطور في تلك القراءة المعكوسة في دماغه ويبني عليها حياته. وهذا ما يحدث مع البعض أحياناً. كمن يؤمن بقوانين خُرافية ويبني عليها كل ما يحدث له في سائر يومه ومع من حوله أيضاً ويجعلها تفسيراً لكل ما يحدث معه في حياته.

كثير ما قال لي أن الحيـــاة تسعى لتحطيم قلبه بشتى الطرق.

- ألم تخبره بذلك ..؟

- لم أتردد عن إخباره .. لقد طلبت منه أن نجلس معاً كما كنا نفعل في طفولتنا .. والحمد لله أنه أذعن .. لكنه كان طوال الوقت يعاتبني في عدم زيارته لمدة سبع سنوات.. حاولت الوصول إلى طريقة أخبره فيها عما أريد،

ولكنه بدأ يتحدث عن الصعوبات التي واجهته في مراحل حياته.. فـأخبرته أنه كان يجب عليه أن يتعلم من كثرة التجارب، وأن يتجاهل بعض الأمور، وأن لا يفكر فيها من زاوية واحدة بل من عدة زوايا فأحياناً لا تبصر أعيننا الحقيقة. وأن يعرف كيف يقف وحيداً حتى وإن لم يساعده أحد.. وأن لا يعيش على انتظار الفرص حتى وإن كان يتوقع وصولها القريب فأحياناً تكون ساعات الانتظار أكبر من الساعات التي تم توقعها.. وأن لا يسمح لنفسه كـــإنسان أن يكون هامشاً في الحيـــاة .. وأن يستوعب أن لا أحد يدوم لأحد .. وأخبرته أيضاً أنه كان يجب عليه أن لا يترك الأمور على عواهنها حتى لا تزداد سواءً.. لكنه لم يستمر في الانصات .. بل تركني ورحل دون أي كلمة .. شعرت بأنني أثقلت عليه .. كنت أعتقد أن أسلوب المواجهة والمصارحة الذي عرفني به لن يفسد في الود قضية .. لكن هذا ما حدث..

- وما ذا فعلت بعد ذلك ..؟

- يومها كنت على الشاطئ وشعرت بعد ذهابه بإحباطٍ ويأسٍ كبيرين .. لكن كان هناك شيء واحد يدور في رأسي ! كيف أصلح الأمر ..؟

ومن غير أن أشعر أخذت هاتفي وقمت بـــإرسال رسالة له قلت فيها : بعد أن تركتني وحدي على الشاطئ .. أخذتني أصوات الأمواج إلى حيث تلك البقعة من الأرض .. البقعة التي كنا نرسم عليها في عمر العاشرة ..

كثير ما رسمت أنت ملامحي.. وكثيراً ما رسمت أنا ملامحك.. لكنني لازلت

أذكر قولك لي يوم قلت: إذا كبرت أريد أن تكون ملامحي وشخصيتي مثل الضابط ريفنسون. سألتك: لمَ الضابط ريفنسون !!

فقلت لي: لأنه الشخص الوحيد الذي خاطبني بلطف وببضع كلمات طيبة . لقد كان حنوناً جداً .. عرفت ذلك في لقائي الأول به عندما قدم ليلاً إلى المقبرة.. ليلتها كان البدر مكتملاً.
بالبداية لم اعرفه!! رأيته واقفاً بشعره الأبيض بدا لي مهيباً.. فظننته شيطاناً لذلك أسرعت في الاختباء.. وعندما شعر بهروبي صرخ بصوت عالٍ من أنت؟ من هناك. لا تخف. ولكن من شدة خوفي صرت أركض وقدامي ترتجف في نفس الوقت، حتى سقطت على الأرض وجرحت ساقي. فأتى إليّ وحملني وسار بي إلى حيث سكني وقال لي: هل أنت خائف! قلت له: نعم. فقال لي : لا تخف. لأن الخوف يزول عندما نثق بأن الله لن يتركنا. ثم وضعني على السرير وعالج جرحي ودفئني بلحافي ورحل.
أعترف بأنني كنت قاسياً معك على عكس الضابط ريفنسون.. لكنني لم أنساك.. فبعد أن تركت المدينة، كثيراً ما تعثرت ذاكرتي بك. حتى أني عكفت شهوراً أحاول أن أتقن رسم ملامحك مثل الضابط ريفنسون ولكنني لم أفلح.. فملامحك لا تشبه ملامح الضابط.
صديقي! عندما كنا أطفالاً لم نكن نحمل في أدمغتنا التوقعات التي نحملها

الآن ونحن في عمر الشباب.. ولم نكن نتصور بأننا سنعيش كل تلك الأحداث التي قرأنا عنها في القصص وكانت تبهرنا، وكنا نظن بأنها مستحيلة.. ولم نتخيل يوماً مع من سنقضي الباقي من عمرنا.. ومن سنحب.. ومن هم أصدقائنا.. ومن هم الأشخاص الذين سنختارهم لنبوح لهم عن أسرارنا.. وما هو شكل قدرنا.. ولم نتخيل يوماً بأننا سنقضي وقتاً مع الوحدة والغربة.
بعض الأشياء تتغير.. لكن بعض الأشياء تكبر.. مثل ملامحنا.. ومثل نظرتنا للكون الكبير حولنا..
لم أكن أعلم بأن في رحيلك كل هذه الحكاية، وبأنني لن ألقاك إلا بعد كل هذه السنوات.. فهل تتركني بعد أن وجدتك ووجدتني؟.
وبعد تلك الرسالة تحول إلى شخص أكثر هُدُوءًا.. حتى أنه لم يعد يشتكي كما كان في السابق. لكنه لم يعد كما كان طفلاً.
ولا أنسى في إحدى زياراتي له.. كنت معه في حديث عن أيامنا الجميلة.. يومها فاجأني ورفع أمام ناظري صورة قديمة لي وله في عمر العشر سنوات.. لم انطق بكلمة!! ولم أقم بأي ردة فعل. ولكن في داخلي شعرت بشيء ما.. شيئاً يشبه تلك الرعشة التي تأتيك عندما تتذكر لحظات دافئة تشتاق إليها.
بروميثيوس وصلنا إلى الشاطئ. أظنك لم تنتبه..؟
- حقا!! فعلاً لم أكن منتبهاً.. لقد كان حديثك عن صديقك رائعاً.. لم اكن

اتخيل أن الشخص الذي قابلته في لحظة خاطفة حدثت له كل هذه الأمور في حياته..

أن يتوافق قرارك مع معطيات الحياة أمر ممكن ، لكن يبقى سير الحياة أمر في علم الغيب .

ها قد وصلنا إلى الشاطئ.. بروميثيوس، ما هو شعورك وأنت أمام شاطئ البحر وفي أول يوم لك في الصيد؟
- شعوري شعور أي شخص بخطورة المغامرة.. أتمنى أن لا أفسد الأمور عليك، فلم أجرب الصيد في حياتي.
- الصيد ليس عملاً سهلاً، ستحتاج إلى شهور لتتعرف عليه.
- أتساءل .. هل سأنجح !!
- لا بد من المحاولة ، ففي النهاية أريد شخصاً ما ليساعدني .
- أدونيس ! هل وجدت الصيد ممتعاً ..؟
- بالتأكيد ممتع ، ولكن متعته في خوض التحديات والمخاطر .
- التحديات والمخاطر !! مصطلحين لم أسمعها بكثرة إلا بعد مقابلة زيوس .. الحياة غريبة لا شيء يأتي فيها بسهولة .
- بروميثيوس ! سأخبرك بشيء .. قبل أربع سنوات كنت مزارعاً.. أبيع المحاصيل على التجار.. لكني لم أستمر في العمل. فبعد مرور سنة كاملة أصبح

هناك العديد من المزارعين في قريتي، ولم يعد السعر الذي يعرضه علي التجار يكفي لأشتري البذور. لذلك تركت العمل وسافرت إلى المدينة.
وعند وصولي شعرت بدهشة تغلفها رعشة دفعتني للتفكير في العودة. كانت صورة المدينة مرعبة. لم يكن الأمر سهلاً لشخص عاش حياته في الريف كـــمزارع يصبح على مساحات شاسعة لا يزدحم فيها الناس.
تجولت في المدينة لساعات طويلة بحثاً عن عمل، كنت أسأل بعض المارة حتى أجابتني امرأة: ربما تجد فرصتك في شارع الجسر ، فالكثير يقصدونه للبحث عن مساعدين لهم في أعمالهم.
فقلت لها: وأين هو طريق الشارع ؟
فقالت: سر باتجاه مستقيم إلى أن تصل إلى طريق متقاطعة، عندها ستجد لافتات تدلك عليه، وستعرفه بالجسر الضخم الذي يشقه باتجاه معاكس.
- حسناً. شكراً لكِ.
- حظاً موفقاً.

وبعد البحث وصلت إلى الشارع. كأن الشمس لم تعرفه قط. لم أتصور جسراً ضخماً كـــالذي رأيته في ذلك الشارع.
انتظرت بقلق النهار كله حتى قرب غروب الشمس ولكن أحداً لم يأتي..
وحين بدأت في المغيب قررت العودة إلى الريف. حزمت أمتعتي وفي طريقي

للعودة توقفت عند الشاطئ.. تذكرت مزرعتي قرب الطاحونة.. والشمس التي أشعر بشروقها داخلي.. وكأنني بذرة في الأرض تشق التربة لتنمو وتكبر وتتغير وتصل إلى قمتها.. تذكرت الصفاء الذي يحكي عن سمفونية نادرة.. لا أنسى صوت عزف الرياح على أوتار الأشجار.. وحركة الحيوانات بين الأعشاب.. وثغاء الأغنام.. وخوار الأبقار.. والرعاة وهم يعيدون ماشيتهم إلى الحظيرة.. إنه إيقاع متوازن.

عندما تسكن الريف تشعر بأنك حُر.. فلا شيء يقف أمام نسيم المساء العليل. تصورت تلك المساحات الشاسعة التي أمد بها بصري.. وتذكرت تلك الساعات التي أهتم فيها بمزرعتي.. وقطرات العرق التي تلتحم بالتراب عند حرثه.. وكأنها تخبرك أنه بالتعب والجهد يتحقق المجد..

ثم يأتي نسيم البحر وصوت الموج ليخطف صور الريف التي تعج بها ذاكرتك ويخبرك بالحقيقة.

وحين استدرت للمغادرة، سمعت صوت من بعيد يصرخ، آتي من اتجاه البحر: هل تريد أن تعمل.. هل تريد أن تعمل..؟

التفت خلفي وإذا به رجل على قاربه يخاطبني.. وعندما اقترب من الشاطئ صعدت عنده.. فقلت له: نعم.. فأنا هنا للبحث عن عمل.

فقال لي: وأنا بحاجة إلى مساعد لي.. إذا لم تكن تمانع سيكون عملك معنا في

الصيد..

فعلمني الصيد في أقل من شهرين، ثم عرض علي الزواج من أبنته يولاند..

وبعد ثلاث شهور توفي.. كأنه كان يعلم بأنه سيغادرنا قريباً لكنه لم يكن يعلم في الحقيقة وإنما كان متأكداً من مغادرته عاجلاً أم أجلاً..
كنت أرى فيه مثالاً رائعاً في الحكمة والعمل والعطاء والرحمة والحب والإنسانية. منه عرفت زيوس.
أتعلم!! قبل أن أصبح صياداً كنت أجوب المدينة بحثاً عن عمل. ولكن العمل لم يأتي بسهولة وعندما رأيت كم هو صعب العيش في المدينة قررت أن أعود. لكن فيما بعد حين تأملت ما حدث لي بعد أن أصبحت صياداً وبعد أن تزوجت أدركت أن الضيق هو ما يفتح لك مساحات واسعة.
هذه التجربة جعلتني أدرك أننا قد نكون حبيسي أنفسنا، ووسط دائرة ننظر بقصر بصيرتنا في أمورنا أننا أفضل حالاً طالما أننا لا نضيف جديداً في حياتنا.. وأن هذا هو قدرنا.. وكأننا خلقنا لنتوقف عند مرحلة دون التقدم إلى أخرى. وهذا الإدراك أوصلني إلى أن حكم الأقدار جاء ليحررننا من تلك الدائرة التي نحبس أنفسنا داخلها دون أن نشعر وليس لكي يُضيق علينا. كما حدث لي في البعد عن الريف.. وحياة البساتين.. لو عدت إليه لوصلت إلى حياة بلا معنى..

لقد أكسبني البعد الكثير من الخبرة التي جعلت مني شخصاً مختلفاً يزن الأمور بميزان ليس كما أريد أنا وإنما كما ينبغي عليه أن تكون حتى ولو ساءت الظروف.

لقد وجدت معناً جميلاً لحيـــــاتي عندما خطوت خطوة واحدة مختلفة .. لكنني بعد وفاة عمي شعرت بأنني لم أعد أريد العمل وكدت أستسلم.

لقد كانت وفاته مثل صدمة لي.. ولم أعد كما كنت إلا عندما أخبرتني زوجتي بقصة قريب لها يدعى *سيتو* رجل مُخلص وصادق، عمل مع والده الذي يملك مصنع للقماش.

عندما ازدهرت تجارتهم غضبت شركة منافسة فقامت بتهديد بعض عُمال المصنع ورشوة بعضهم لتوظيفهم في مكان آخر وبدخل أعلى. وَبدون عُمال لن يتمكن *سيتو* من العمل.. فـــأضطر إلى إغلاق مصنع والده مما أدى ذلك إلى وفاته.

كل يوم يرى سيتو الأشخاص الذين بسببهم توفي والده. حينها سألتني زوجتي *يولاند* سؤالاً: ماذا سيحدث لك لو كنت مكانه.. بدون دخل مالي.. وإفلاس.. وديون مُتراكمة.. وشركة قامت بـــرشوة عمالك!؟ ما الخيار الذي تملكه..؟ وما الخيار الذي يجب عليك اتخاذه..؟ وما الذي سيحدث لك.. أو ما الذي سيحدث لشخص وُضع بين المطرقة والسندان..؟ ثم أردفت قائلة: "إن المواقف العصيبة تستدعي الأفعال اليائسة.. والأفعال اليائسة تتسبب في مقتلنا

إذا أستسلمنا لها.

*بعد ذلك الحوار مع أدونيس.. شعرت بالخيبة.. لقد كنت أعيش في كهف وليس في منزل.

سمعت الكثير من القصص وتعلمت الكثير فقط من لقاء شخصين.. كيف لو خضت العديد من التجارب.. هل سأثق بنفسي.؟ لو كنت صاحب أحدى تلك القصص.. كيف سيكون تصرفي..! لست قادراً على موجهات كالتي أخبرني بها أدونيس.. كم كنت أحمق.. كيف كنت أنظر إلى الحيـــــاة.. لقد خسرت الكثير من الوقت.. كنت أعتقد أن باستطاعتي إكمال حياتي دون أن أخسر شيء.

ماذا لو اكتشفت في نهاية حياتي أني كنت أعيش أحلاماً واهمة لا تمد للواقع بصلة..؟ ماذا لو اكتشفت في نهاية الدرب أني لم اعرف نفسي أصلاً..؟ كم سيكون ذلك صعباً..! الحمد لله أنني بدأت في خطوات جديدة..

بدأت رحلتي الأولى في تعلم الصيد وكنت أبلي حسنا.. وبدأت أشعر بأنني أشق طريقاً جديدة بدل البقاء في حياتي الرتيبة.

وبعد مرور شهر كامل من العمل في الصيد، قررت شراء منزل خاص بي..

فـأخبرت أدونيس بذلك فقال لي: بقائك في المنزل معي لا يزعجني.. لكن! إذا كانت هذه رغبتك سأساعدك في تحقيقها. لذلك ستعمل معي في الصباح فقط، وبذلك ستتمكن من البحث عن عمل في المساء.

وبالفعل بدأت بالبحث.. وبعد أيام وجدت مصنعاً للفخار.. عملت فيه لمدة شهر ثم تركت العمل.. فعدت إلى رحلة البحث وكأنها لم تنتهي.. ولكن من غير نتائج إيجابية..

شعرت بكثير من الإحباط.. وبدأت سهام اليأس تنهال علي من كل جانب.. فقد كانت تدور في رأسي الكثير من الأمور، والعديد من التساؤلات..! كنت أريد أن أجد عملاً يجعل مني ثرياً بسرعة.. حتى أشتري المنزل وأرسل إلى أمي وأبي وأخوتي بأن يأتوا..

لم يكن ايجاد العمل بالأمر السهل أبداً ولا سيما لشخص غريب مثلي. وفي كل مكان أجد العديد من الشروط التي لا نستفيد منها.. شروط وضعت للتعقيد فقط.. ولبناء حاجز ضخم بيننا وبين العمل..

العالم أصبح مظلماً جداً.. حيث أن اغلب ما نواجهه ما هو إلا موت للإنســـــانية التي تبقينا بخير.. فكيف لو اختفى هذا القانون العظيم ..! ماذا سيحدث لهذا العالم..؟!

وعندما وصلت إلى المنزل خائباً.. لم اجلس مع أدونيس كعادتي.. وإنما صعدت إلى غرفتي واستلقيت على فراشي من شدة التعب.. ثم قلت في نفسي: كأنني سجين في عالم معتم.. لا ضوء فيه ولا نهار.. كل هذا الألم بسبب أن لدي طموح وأريد إنجازه!!

كم أتمنى أن أشتري منزلاً لي ولأمي وأبي وأخوتي.. كان همي الوحيد هو راحة

أمي من العناء الذي تكابده في بيع القهوة الفرنسية في الشتاء.. هل أذنبت أيتها الحيـــــــــاة..؟

الماضي صورة لا تغيب عن ذهني.. وسعادة أمي رغبة أرجو بأن احققها. عليَّ أن أؤمن بنفسي.. أظن أنه من الأفضل لي أن أنام قليلاً بدل هذياني الأحمق.

وبعد مرور أيام.. أحسست بأن الوقت يمضي دون أي جدوى.. اصبحت أنتظر اليوم الذي يحدث فيه شيء.. انتظار يدُق في رأسي مثل عقرب ساعة عالق في مكانه لا يصدر غير الصوت المزعج.

ففكرت في البدء بالأعمال اليومية بدل الجلوس والانتظار.. لكني وجدت نفسي مجبراً على فعل الكثير من الأعمال وبأجرٍ بسيط. عند تلك اللحظة راودني شعور بـــالاستسلام! كيف سأعيش هكذا.. أريد شراء منزل.. وما أجنيه من صيد السمك والأعمال اليومية لا يكفي لشراء منزل إلا بعد أربع سنوات على الأقل..

لا أقول بأني كنت شجاعاً.. لقد كانت تراودني أفكار في العودة.. لكنني كنت أشعر بأن شيئاً ما يمنعني.. شيئاً ما قوي أشعر به وكأنه يسكن في قلبي وعقلي.. شيء ذكرني بكلام زيوس عندما قال: "هناك أمر عليك إنجازه، الله سيرشدك إليه".

وفي غضون أسبوعين كنت أعمل عند رجل في منزلة.. كنت أقوم بطلاء

الغرف.. وبعد أن انتهيت طلب مني أن أعمل عند صديق له في شركة كبيرة.
ومن اللقاء الأول بدأت في العمل.
كان ممتعاً جداً.. فسرعان ما أحببت الشركة، لأنها كانت تحرك داخلي كل الجوانب التي أحبها وفي استطاعتي الإبداع فيها.
وبعد ثلاث شهور تم تعييني نائباً للمدير العام، وبدأت الشركة تدخل معي في طور جديد، حتى اصبح لها اسمها المعروف. لقد كانت لدي الكثير من الأفكار التي تساعد في تطويرها.. لم أكن أعلم بوجود كل تلك الطاقة بداخلي إلا عندما بدأت في أول خطوات تحقيق حلمي.
وبعد سنتين تمكنت من شراء المنزل.. ومنه انطلقت إلى أكبر احتفال للشركة. وحين طُلب مني التقدم لتقديم كلمة للحفل.. شعرت بشعور غريب!!
بدأت تدور في رأسي مقتطفات من حياتي.. تذكرت والدتي التي -ومن دون أن أشعر- اعتدت على غيابها وكنت لا أقوى وأجد ذلك مستحيلاً. كم تمنيت في هذه اللحظة لو أنها كانت تجلس في أحد المقاعد لترى ابنها بعد أن سافر وتغير.. ثم تذكرت الشجرة وزيوس وصديق أدونيس الذي توفي وابن صديقه وأدونيس وصيد السمك الذي علمني..
ثم ابتدأت قائلاً: ({ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ } أول يوم عمل لي كان في الصيد مع أدونيس، تعلمت أنه مهما كانت مهاراتك وقدراتك وأفكارك وإبداعك لا تستطيع بدون فريق العمل أن تنتج شيئاً.. ومن غير تعاون لن تنجح ولن

تُحدث أي تغيير. فشكراً لكل من أعان وساهم في نجاح هذه الشركة.
إن من الصعب أن تصل أي شركة إلى درجة عالية من التقدم والازدهار بمجرد أن توجد بحوزتها بعض الخطط. لا بد هناك من فكر متطور لا يقف عند حدود معينه، بل يشق طريقه إلى رؤيةٍ أخرى.. وصورٍ أخرى.. وأفكارٍ أخرى.
ولا ننسى بأن نذكر شيئاً عن قائد كل مؤسسة وما يجب أن يكون فيه من قدرة على تسيير الأمور بحكم الأن، ليس بحكم العادة وما تفرضها الإيديولوجيات، فقد نفسد العمل عندما نقوم بأدائه على وجه العادة فقط).
وبعد مضي ثلاث ساعات.. أنتهى الحفل. فطلب مني المدير العام للشركة القدوم إلى مكتبه. وعند قدومي قال لي: هل سمعت بأسطورة الفتاة التي تحولت إلى دب..؟
- لا. لم أسمع بها!
- تقول الأسطورة بأن هناك فتاة ذهبت إلى الغابة لـــتجمع بعض المعلومات عن نباتات معينة، وبعد أسبوع من التخييم في الغابة، جمعت المعلومات المطلوبة منها.. وعندما قامت بحزم أمتعتها لتعود بما جمعت من معلومات، أدركت بأنها ظلت الطريق. لم تكن تعلم بأن رحلتها الأصعب قد ابتدأت الأن.. فقد فرغ من حوزتها الطعام والشراب.. وبدأت الدببة في مهاجمتها حتى حوصرت في جزء من الغابة. ظلت على هذه الحال شهر كامل. تعلمت فيه كيف تجمع الماء من قطرات الندى التي تتجمع على أوراق النباتات قبل شروق

الشمس.. ومن المعلومات التي بحوزتها عرفت كيف تتغذى من بعض النباتات الغير سامة..

لكن! تبقى لها أمر واحد.. وهي الدببة التي قامت بمحاصرتها لمدة شهراً كاملاً وهي تختبئ عنهم. لم تفكر في الاستسلام.. بل قامت بصنع أدوات حادة من بعض الصخور لتدافع عن نفسها إذا هوجمت، غير ذلك لا ننسى أن بحوزتها بعض السكاكين.

وبعد خروجها من مخبأها، شاهدها أحد الدببة وركض خلفها ولكنها كانت تعلم بالجزء الذي حوصرت فيه، فتمكنت منه بخطة ذكية. وبالتأكيد كانت تفكر في هذه الخطوة من قبل، فعندما قتلت الدب قامت بـارتداء جلده، واستخدام أسنانه، ووضعت رأسه على رأسها.

وبالفعل تمكنت من الدفاع عن نفسها حتى خرجت من الغابة بعد ما مضى على غيابها مدة طويلة من السنوات. لكن عند خروجها من الغابة ومقابلتها للبشر حدث أمر غريب!.. إنها لم تستطيع أن تعود إلى طبيعتها وتعيش كفتاة جميلة وحرة.. لقد أصبحت شرسة تحمل طباع الدببة في داخل روحها ويأسرها الخوف..

*عندما كان يقص المدير القصة.. كنت في نفسي متعجباً!! ما مناسبة هذه القصة..؟

فقلت له : لن نختلف في دهشتنا بـــــالأسطورة. لكن أخبرني ما سبب

مناداتك لي..؟!
فقال لي: أنت بعد أن امتلكت منصباً تغيرت مثل الفتاة.. لذلك أريدك أن تترك الشركة.
- أترك الشركة بسبب أني تغيرت!!
- إن مبيعاتك بدأت في الانخفاض. سمعتهم يتحدثون عن ذلك.
- لكن ذلك لم يكن بسببي.. لقد قام أحد الموظفين ببيع أجهزة غير مكتملة التركيب .. وقد أخبرتك بالأمر لكنك قلت لي بأنك تثق به أكثر مني. فتركت الأمر لك ولم اتدخل بينك وبين موظفك .
- لكنني سمعت البعض يتحدثون أن سبب الخطأ هو أنت.. لأنني أخبرتك (بأنني أثق به أكثر منك) فغضبت.. واحببت أن توقعه في مشكلة كي تثبت لي أن كل شيء في هذه الشركة قام بتعبك فقط..!
- لا. ليس صحياً.
- بروميثيوس. ارحل واترك العمل من غير أن تخبر أي موظف بما دار بيننا.. واجعلنا ننهي كل شيء بهدوء.
- بهدوء!! لكن ما حدث لم يكن صحيحاً.. ومن حقي أن أدافع عن نفسي في وسط هذا الافتراء المقزز.
- بروميثيوس ، كنت أريد طاقتك. كنت أريد للشركة أن تصل إلى أفضل مستوى. والأن ما رأيك بأن ترحل؟؟

- وماذا ستفعل بمشروعي الجديد؟ لقد مرت عليه ثلاث شهور ويحتاج إلى متابعة.. وأيضاً، ماذا سأقول للموظفين؟؟ لم أُقدم يوماً معهم على خطوة كهذه.. ليس من طبعي أن أترك عملاً في منتصفه وأرحل.. وكيف وإن كان هذا العمل هو مشروعي..؟ سأترك العمل في شركتك ولكن لا أريد أن أترك العمل في مشروعي فهو من حقي والاتفاق بيننا..

- لقد تم دفع الكثير من المال على مشروعك، أتعلم بذلك..؟

- نعم أعلم. ولكني أعمل فيه دون أي مقابل.

- مشروعك هو مشروعي. سأكمله وأستفيد من أرباحه..

اترك استقالتك بهدوء وأرحل.. وإياك أن تخبر الصحافة بما دار بيننا اليوم.. والاتفاق الذي تقوي به حجتك لن ينفعك.

فكرت قليلاً ثم قلت له: أمهلني مساء يوم واحد لأكتب استقالتي واضعها على مكتبك.

عدت إلى منزلي.. تذكرت أدونيس.. وتذكرت سمكته التي يرغب في اصطيادها. وبعد سويعات هاتفني أدونيس كعادته وقال لي: السمكة.

فقلت مقاطعاً: هل اصطدتها.؟

_ نعم، قد فعلتها.

- إنها نهاية سعيدة بالنسبة لك.

- حقيقة ليس تماماً!! لم يكن اصطيادها وحدي أمراً سهلاً.. أفتقد وجودك..

- اصطدتها لوحدك !!

_ نعم.

- وكيف فعلت ..؟

- بعد أن علقت في الشباك قمت بسحبها ولكنني نسيت أن الجانب الذي سأسندها عليه أصلحته قبل أيام وملئ بالمسامير التي قد تمزق شبكتي.. لذلك لم أقوم بسحبها فتركتها معلقة واضطررت للتجديف عائداً للشاطئ.. لكن السمكة كانت تتحرك.. ولم استطع وحدي أن اسحبها إلى الجهة الاخرى.. فنزفت مما تسبب في مجيء أسماك القرش وتمزيقها فتركتها. والجزء الذي اصلحته من قاربي عاد وتحطم مرة أخرى..

- كان ذلك مضيعة للوقت..

- يعتمد الأمر على نظرتك إليه. كنت أنظر إلى السمك على أنه خصم لي.. كنت أرى شخصيتي في كل سمكة.. وكنت أحترم أكثر من تقاتل.

- إذا كانت هذه وجهة نظرك، لمَ لم تترك السمكة منذ البداية؟

- لربما لأنني الصياد وهي السمكة..

- أيعني ذلك أن نترك بعض الأمور على ما هي عليه ولا نقول فيها شيئاً ؟

- نحن بشر. وبالتأكيد نختلف عن موقف الصياد مع سمكه. لكن مهما تغيرت الظروف.. لا يتخلى الإنسان عن كونه إنســـــان.. فهناك الكثير من الأمور التي باستطاعته فعلها.

- لقد حدث أمر في الشركة اليوم.. لقد طلب مني المدير أن أترك الشركة بسبب بيع أجهزة غير مكتملة التركيب.. لكن ذلك لم يكن خطأي.
- ألم تخبره ..؟
- بلى أخبرته. لكنه لم يصدقني. إن كل تفكيري يقطن عند مشروعي. لقد طلبت منه بأن يترك لي إدارة مشروعي لكنه امتنع من ذلك لأن أموال المشروع هي أمواله.
- الأمر مدبر منذ البداية. فبيع أجهزة غير مكتملة لا يحمّلك ترك الشركة، بل التعويض. لا تزعج نفسك.
- إن مشروع منزل الأمل هو حياتي التي اريدها.. هو كل شيء بالنسبة لي. لقد سهرت على دراسته.. ولم يهدأ لي بال حتى بدأت فيه.. وبعد كل هذا يريد طردي. كل شيء تغير وانتهيت.. لم يعد لدي أي وسيلة..
- هون عليك. إن الحياة مليئة بمثل هذه الأمور، لكننا عندما ندرك من نحن وما الذي يجب علينا فعله، نصبح بذلك واعين ومدركين أن ما يحدث حولنا من تغيير في حياتنا ما هو إلا تغيير في الصور والأشكال والظروف من حولنا.. أما نحن فنكتشف أفاقاً جديدة لنا ولأنفسنا من الداخل.
- حسناً ، شكراً لك أدونيس .
- لا تهتم يا صديقي.
- لابأس سأكون بخير. أراك لاحقاً.

استلقيت على فراشي أفكر وأفكر.. ثم تذكرت عبارة قالها لي زيوس: قد نقوم بالقرارات الخاطئة، بهدف الوصول إلى المكـــان الصحيح.

وعند مساء اليوم التالي، وقبل حضور المدير جافيتس وضعت استقالتي على مكتبه وانصرفت.. ولكن قبلها قمت بسحب كامل خطط مشروعي الذي من حقي. ثم ركبت سيارتي وذهبت إلى الشاطئ.. لقد شعرت بضيق شديد.. فقط أريد أن أجلس مع أدونيس..

وصلت إلى الشاطئ وجلست معه.. كانت الكلمات تخرج وحدها..

- أدونيس.. لماذا حدث ذلك معي..؟ كنت أعتقد أن الطريق الصحيح خالٍ من التحديات.. كنت أعتقد ذلك قبل حدوثه معي.. هل خياراتي هي التي أوصلتني إلى نهاية كهذه..؟

لقد سمعت منك الكثير عن هذا العالم الذي كنت أجهل كثيراً من أموره.. لم يكن يوماً مكاناً جيداً.. كان محفوفاً بالمخاطر.. والخيانة.. وعدم الأمان.. والشعور بـالألم.. والقسوة.. والتعب. لقد أحتاج مني الأمر إلى كثير من الكفاح والصبر، والعديد من المحاولات. لقد فشلت في مهمتي.

- بروميثيوس، على العكس تماماً.. التفت إلى الخلف وأنظر كيف كانت حياتك.. رحلة تحمل كثير من المعاني وتعلم الجديد واكتشاف داخلك. فتش وأبحث عن الكنوز الحقيقة التي كونتها التجارب.. فكر بذلك فما أجمل أن ترى ذاتك كيف أصبحت.. التفت إلى الخلف وأنظر إلى الكم الذي

حققته.. والخبرة التي اكتسبتها.. والأمور التي تعلمتها.. هكذا يجب أن تكون نظرتك..

- كل ذلك كان بالأمس.. أما اليوم فقد أنتهى كل شيء.

- قد يكون الدرس قاسياً جداً ولكن الله يريد الأفضل منك. من غير العقبات لن تكتشف أفضل ما لديك.

- هل تقصد أن أبدأ من جديد..؟

- بل تكمل من حيث انتهيت. من مشروعك على الأقل.

- لكن الخوف مسيطرٌ علي..

- لا تجعل من الخوف حاجزاً يمنعنك من تحقيق أحلامك.. الخوف خيار.. فعليك أن تختار إما هو أو تحقيق مشروعك.

- وهل تعتقد أن باستطاعتي أن أحقق مشروعي بعد أن بدأت في وضع جزء منه في شركة ذاك البغيض؟

- بالتأكيد. ولمَ لا! لا تدري أين تأخذك الأقدار.

- لربما هذا في عالمك. لا تحدث الأمور بهذه الطريقة في عالمي.

- إذاً.. فلتغير عالمك. اسمعني يمكنك أن تطور مشروعك بصورة لم يتخيلها البغيض كما تقول.. حينها ستكون وصلت إلى ما تصبوا إليه يا رجل. لا تترك له الساحة وأنت تملك إمكانيات كبيرة وخبرة اكتسبتها بعيداً عن ماله.

- أظنك محق.

حل الليل. فجلست أفكر في كلام أدونيس.. وجدت كلامه منطقياً.. وشعرت بداخلي بشيء من الانتقام لذلك البغيض..
أظن بأنني سأكمل طريقي طالما أني اكتسبت خبرات جديدة. يجب عليّ أن لا أفكر في الاستسلام.. ولن أجعل من الانتقام غايتي حتى لا يُفسد مشروعي. التركيز على أمر تافه لن يجعل لمشروعي قيمته.. لقد كانت بدايتي ممتازة وسأكمل.
لم أكن أتصور بأنني سأصبح مديراً في وقت قصير..! ولم أكن أتصور أن حياتي ستتغير بهذه السرعة.. يجب أن أثق بنفسي وإن لم يثق بي أحد.

وفي الصباح رتبت أوراقي، وقصدت ثلاث شركات أعلنت بأنها في حاجة إلى موظفين. قمت بالمطلوب وقدمت أوراقي لديهم، وسألت على نسبة قبولي! فقالوا لي: أكثر من 80٪ .
وانتظرت حتى المساء لعل أحدهم يتصل بي.. ولكن المفاجأة لم يتصل بي أحد..!
عندها ذهبت بنفسي لمتابعة الأمر.. تفاجأت!! كل الشركات التي قدمت بها طلبي قامت برفضي.. لم يكن الأمر عادياً بالنسبة لي.. سألت عن السبب؟. لكن أحداً لم يجيبني..؟
وعند خروجي لحق بي أحد الأشخاص.. سمعت صوتها تنادي.. أعرف ذلك

الصوت..!

- بروميثيوس!

التفت فإذا بها أوليفيا. ما الأمر..؟

- المدير جافيتس قدَّم في صباح يوم الأحد خبراً للصحافة، ألم تسمعه ..؟

- لا. كنت مع أدونيس على الشاطئ. ما الخبر؟

- قام الصحفيون بزيارة شركة جافيتس.. وعندما سألوه عن سبب عدم تواجدك قال بأنك لم تعد تصلح للعمل.. لأنك تسببت في خسارة كبيرة للشركة بتقديمك مشروع غير ناجح، وأن جميع مبيعاتك بدأت بالانخفاض بسبب غشك.

- لهذا السبب لم تقم أي شركة بتوظيفي.

- أجل. الكل يفكر في مصلحته.

- لا أعلم لماذا يفعل ذلك معي ..!

- لقد قام بنشر الأكاذيب.. لكن لا بأس.. كن واثقاً من نفسك ولا تكترث لأمره.

- كيف لا أكترث.. لقد أقترف ذنباً عظيماً ذاك القذر.. أغلق كل الطرق بوجهي. أوليفيا. سنتحدث لاحقاً.

لقد شعرت أوليفيا بالقلق من أجلي حين طلبت منها أن نتحدث لاحقاً. فسارت خلفي من غير أن أنتبه لها.. ركبت سيارتها وصارت تنظر إليَّ من

بعيد.. عندما أخبرتني بلحظة لحاقها بي قالت لي: (رأيتك متجهاً نحو سيارتك.. هممت بالركوب لكنك لم تركب.. ثم وضعت يديك على الباب وطأطأت رأسك.. ثم رفعته واطلت النظر إلى ملامحك التي انعكست على الزجاج.. بدأت تحسسها بأطراف أصابعك وكأنك تتفقد شيئاً ما ظهر على وجهك..!! بدوت لي وكأنك تتصرف بغرابه.. ألمني ذلك حقاً.. ولكنني شعرت بك وكأنك تريد أن تطمئن.. هل فقدت ما يميز تلك الملامح..؟!!

أبقيت عينيك مثبتتين للحظة.. وكأنك تفكر في شيء ما.! ركبت سيارتك ثم تحركت نحو الجسر.. توقفت وأكملت سيراً على قدميك..

شعرت بأنك لم تحتمل ما حدث لك، واخترت مالا تريد أن تختار، عرفت ذلك من خطواتك المترددة.. وعندما عرفت بأنك لم تقوم بفعل أحمق. تركتك).

لم انتبه أن أوليفيا كانت خلفي.. ففي تلك اللحظة كنت أفكر في الفعل الذي قام به جافيتس.. لماذا فعل ذلك بي..؟!

لقد طورت من شركته لكنه قام بالمقابل في تدمير حياتي كلها. لقد قتل حاضري.. وأضاف وجعاً فوق أوجاع الماضي.. ولم يُبقي لي مستقبلاً لكي أعيش من أجله. لقد انتهيت تماماً وانتهى كل شيء في حياتي أخطط له.. كيف سأثبت العكس طالما أن الكل رفضني..

تأملتُ من عالٍ حياتي وكأنها أحد المارة.. همست في نفسي.. "هل هذا انتقام الأقدار مني!!". لم أخلف يوماً وعداً قطعته مع الموظفين.. ولم أرفض يوماً

مساعدة أي وافد إلى الشركة.. أين ما كان يتحدث عنه أدونيس عن الضيق الذي يجلب لك السعة.. أين ذلك لا أرى ما تحدث عنه بصدق..!! هل هناك خلل ما أم أنها الحقيقة..

حاولت قدر المستطاع أن أكون جيداً وسهلاً.. حاولت أن أعطي وسط انشغالي.. وأن أعين حتى وإن كنت في حاجة إلى عون.. كل ذلك لأجل أمر واحد اخبرني به زيوس.. وهو أن أحقق مهمتي وأن أكون نافعاً.

لم أكن غريباً في هذا العالم.. بل كنت شخصاً جديداً أُختير لينهي ما أتى من أجله. الأن وأنا على وشك العودة إلى المنزل.. سأنفض من فوق الجسر ما تبقى من ذلك المكـــان.. لكن هل سأنسى ما حدث..؟ هل سأثق فيمن حولي ..؟ كيف سأعمل بعد اليوم .. ؟ وهل سأقدم أفضل ما لدي.. لا أعتقد ذلك..! أظن بأنني سأعود إلى أمي..

***

" كيف نوضح للشمس أن اشعتها اليوم لم تعد إلا خيوطاً لنسج اكفاننا ؟ بأية لغة نقول لها: شروقها جرحٌ وليس غروبها إلا قبراً ؟

أدونيس

انقبض قلب بروميثيوس.. كما لو أن شيئاً ضخماً أطبق على صدره.. كان مدركاً تماماً ما الذي ينتظره بشأن عمله.. ولكن بشأن منزله...!!

تسمر تماماً أمام ذلك المنظر المهول.. لم ينطق بكلمه ولم يقوم بأي ردة فعل.. فقط الوقوف والنظر.. وكأنه يتذكر كل ما مر به من كدمات لم تزل أثارها على روحه ..

توارت الشمس.. حدَّق إليها فترة طويلة.. حتى اختفت خلف الجبـــال البعيدة التي تحكي عن وطنه..

قال: كثير من الأمور تتغير بين شروق الشمس وغروبها.. وأنا تغيرت حياتي كلها بين شروق يوم وغروب يوم آخر.

غادرت مدينتي في الصباح.. وانتهى سعيي في هذا المساء بمنظر كم أتمنى أن يكون حلماً مزعجاً ينتهي بالاستيقاظ مذعوراً. كم أتمنى أن أسمع صوت أمي في أخر الرواق يقول لي: استيقظ!!

سرت إلى منزل أدونيس. وعند وصولي تذكرت الساعات الأولى التي كنت فيها أكثر حماساً وشجاعة.. تذكرت بداية اللقاء!!

الاستيقاظ متعباً.. الأسمـــاك والسوق.. الضحكات التي كنت اطلقها معه في وسط البحر.. خواطر الليل التي كنت أدونها لمحبوبتي التي لا أعلم من هي!! ولا أين تسكن!! لكنني واثق من لقائها. هي موجودة في مكان ما من أجلي.

بدأت دموع عيني في التساقط.. شعرت بالخجل لأنني لم أبكي منذ زمن.. وللحظة ضياع سمعت صوت منبه رسالة على هاتفي.. تناولته.. ثم فتحت الرسالة.. وإذا بها من والدتي تسأل عن أحوالي كـــعادتها.. هممت بأن أقفل ولا أكمل الرسالة.. وحقيقة فعلت ذلك.. لكن شعوراً بالقلق راودني.. عدت وتناولت الهاتف وأكملت الرسالة حتى لا أشعر فيما بعد بتأنيب الضمير.

حينها تسمرت عند الخبر الذي يخص أبي.. حسبت أنني في حلم.. أو أن مقصود الرسالة مختلف.. لكن الحقيقة دائماً ما تخيف.. واحياناً ما تجرح.. واحياناً ما تميت!! (لقد توفي والدك). لا.. لو توفي لما استطعت أن أقرأ الرسالة.. لو توفي لما جفت دموعي المنسابة فجأة من عيني.. لربما الرسالة لا تخص والدي؟ لربما المرسل شخص أخر وليس أمي.. أحياناً أسجل هاتف أمي..... لكن الرسالة

تقول والدك.. إنه والدي.. وأنا أنحدر تدريجياً في هذا الليل إلى أعماق جديدة من الظلام.. لا أريد أن أسمع خبراً كهذا.. أيه الحلم المزعج ألن تنتهي..
خيبة أمل كبيرة.. بدا كل شيء مظلماً.. أشعر ببرودة في جسدي.. كأن روحي تصعد.. بدت كل أطرافي ترتعش.. لم تعد لي رغبة في شيء.. فقط شعور بالموت. الموت.. إنها الكآبة الباعثة للاختناق.. وأنا عاجز عن كل شيء.. عن أبسط شيء.. عن الحركة.. عن السير بعيداً من تحت الشجرة.. عن البعد.. عن السفر.. عن الاختفاء.. عن الموت.. عن أن أكون لا شيء.. وهل سيجدي..!!
كل الصور بدت مرعبة.. كل خيالاتي بدت مظلمة كئيبة.. وكأن وجه العالم أصبح كابوساً متدلياً من فوق رأسي.. مثل لعنة أبدية تحاصرني.
لقد وجدت نفسي في هذا المكـــان الغريب غريباً.. وسط أناس لم أفهم لغتهم.. ولم أعرف بالبداية قيمة عملتهم.. وكثيراً ما ضللت طريقي في شوارعهم.. لقد أكلت مني الغربة وشربت حتى أرتوت.
استيقظت باكراً.. عملت بجد لساعات أطول.. سرت قدوماً نحو هدفي بعيداً عن عائلتي ولم أندم على أي مغامرة خضتها. أقنعت نفسي على الرغم من صعوبة العمل ومشقته أنه ممتع وهذه هي وظيفتي. حققت رغبتي في شراء منزل ولكنه انتهى بالاحتراق. ما الذي أفعله هنا في هذه المدينة اللعينة.. كنت أعيش زمناً متوقفاً.. ولكن كل الذين أحبهم معي.. ما ينفع الجديد إذا كان سينتهي بهذه الحالة السيئة.. ما ينفع الزمن المتحرك إذا كان كل ما ستقابله

معتم.. قاتم.. لا ألوان فيه ولا حياة.. وكل ما ســـتقوم به سينتهي ويتحطم.. ..
في تلك الساعة لمح أدونيس من نافذته بأنني مستند على باب غرفة القراءة..
تعجب!! ثم نزل مسرعاً وعندما وصله إليّ سألني ما بالك؟
- لقد خسرت كل شيء ..
- ما ذا تقصد ؟
- بدا كل شيء من غير فائدة.. كل ذلك كان مضيعة للوقت.. لقد هدرت الكثير من عمري.. وفي لحظة انتهى كل شيء وفقدت أبي.. .. ..
لقد ذهب.. أتفهمني!! ذهب ولم أخبره بمغامرتي ولا بالسمك ولا بالشركة ولا بتفكيري الدائم فيه وفي أمي..
- بروميثيوس! أنا لا أفهم ما الذي تقصده ؟
- لقد رحل ولم أكن بجانبه.. يعني ذلك أنني لن أراه بعد اليوم.. سيغيب إلى الأبد في حفرة وينتهي أتفهم..
- ما الذي حدث بروميثيوس، إنك تصيبني بالجنون؟
لم أجب.. لقد نالت مني الصدمة حتى استندت إلى حضن أدونيس وسرعان ما غبت عن وعيي.

وفي غضون أسبوعين جاءت أوليفيا لزيارتي بعد عودتي إليهم. بعد أن سمعت بخبر وفاة أبي سافرت إلى مدينتي بقيت هناك أياماً ثم عدت.

- أوليفيا تفضلي بالجلوس .
- شكراً لك .
- أعتذر عما حدث في ذلك اليوم ، كنت مستعجلاً .
- لا. لا بأس. آسفة لما حدث لك بشأن العمل، وبشأن المنزل، وبشأن والدك.
_ لا عليكِ. كل شيء يعوض إلا فقد العزيز. ولنا أن نصبر.
- هل ستعود إلى مدينتك..
- نعم. لقد قررت العودة والبقاء بجانب أمي وأخوتي .
- أرجو لك حظاً طيباً.
- شكراً لكِ. في الحقيقة لم أكن أتوقع أن كل هذا سيحدث معي.
- نعم. أحياناً نشعر بأن بعض الأمور الصعبة قد لا تحدث معنا.. على الأقل في القريب من الوقت ومع أننا بقرارات أنفسنا كثير ما نفكر ماذا سيحدث لنا لو حدث ذلك..؟ ولكن سرعان ما ننسى. وعندما يحدث ما كنا نخاف منه نشعر بأن كل شيء صار مؤلماً.. وكل شيء أصبح صعباً.. وأننا ظُلمنا والحياة لم تكن عادلةً معنا.. وأننا نريد أن نموت لتنتهي معاناتنا.. وقد نعتقد أيضاً بأن الله تخلى عنا.. يحدث أن نفكر بذلك وأن نختار الانسحاب والعزوف عما نريده وما يجب أنه نكونه لأنه الطريق الأسهل.. فالقلوب لا تحب الألم والطريق الموحشة. ولكن عندما نستوعب أن هذه هي الحياة أصلاً.. وأن ما حدث لنا سيحث إما الآن وإما لاحقاً.. وأن ما مررنا به ما هو إلا الحقيقة كاملة..

سندرك بأننا أقوى كثير مما تصورنا.
- هل ندمتِ على قرار اتخذته في حياتك؟
- بالتأكيد.. ولكن لم يكن لدي خيار آخر. الحياة صعبة.. وستحطم قلبك بالعديد من الطرق. ولكن إذا لم نواجه ما فيها من صعوبات في وقت مبكر فلن أكون قادرةً على تحمل صعوباتها في وقت متأخر.. لذلك كنت أفكر كثيراً في العقبات.. ولكن لم أجعل منها كابوساً يمنعني من الاستمتاع بأيامي. إن قسوة الحيـــاة أوصلتني إلى نفسي.. لم أكن كما تراني الأن "قوية، صامدة" فبعد وفاة أمي اعتقدت بأن حياتي انتهت.
عندما أتذكر ما حدث أتمنى لو استطيع العودة بالزمن.. لو أعود لن أقوم بأي شيء بالطريقة نفسها.. ولا سيما في كل التفاصيل التي لها علاقة بـــ (أمي).

قبل وفاتها كنت أعتقد بأنها شخص غير مهم في حياتي.. لكني اكتشفت العكس في وقت متأخر.. يوم كانت في غرفتها وقد توقفت كل الأجهزة التي تلف جسدها.. في ذلك اليوم الذي صبغت فيه العتمة حياتي غادرت أمي فيه الحياة.. واستسلمت لنفسي.. للضياع في داخلي.. وجعلته يقودني إلى دون الشعور بالألم أو الندم حتى لا أشعر بالاكتئاب الذي يقتلني.. كثير من الأخطاء ارتكبتها. كنت سيئة الطباع.. وكان كل من حولي يشتكي مني ويتهرب من قربي حتى لا أخلق من وقته جحيماً..

لم أستيقظ من ذلك الكابوس إلا في صباح أحد الأيام.. بعد تسع شهور وأنا في الطريق أوقفني طفل صغير.. وطلب مني أن اسمح له بالغناء.. ابتسمت وقلت له: أجل! لقد كان طفلاً وكانت ملامحه البريئة تبعث بالهدوء. وصادف أن تكون أغنيته هي أغنية أمي التي كانت دائماً ما تغنيها في المطبخ وهي تعد العشاء.. كانت تغنيها وهي في قمة الحزن مبتسمة أن الحياة وهبتها طفله. وعندما انتهى الطفل من غنائه.. شعرت بأني كنت جسداً بلا روح..

عندما قبّلته بين عينه تخيلت وكأن أمي أمامي تقول لي: لم تكن يوماً الجراح مصدر ضعف بالنسبة لنا.. بل مصدر قوة تدفعنا إلى الأمام والإلهام.. في ذلك الوقت جثوت على ركبتي أبكي. وهناك بدأتُ أستعيد نفسي بعد أن خسرتها في الحزن والتفكير في أمور سيمضي بها الوقت إلى مقبرة الماضي. احتجت سنوات لأستعيد الشابة التي ربتها أمي.. واحتجت لثلاث سنوات لأقوم بهذا بدونها.

قد نصادف في دروب الحياة مواقفاً مؤلمة لا نكاد نتحملها.. ولكنها قد تكون الكنز المطمور الذي يأخذنا إلى حياة جديدة.. فأعظم رحلة هي رحلة اكتشافك لذاتك ومعرفتك لقدراتك العملاقة والكامنة داخلك والوصول إلى شيء في هذه الحيـــــــــاة.

- ألم يخطر ببالكِ عدم نجاحك؟

- كثيراً ما تخيلت نفسي تخذلني.. ولكن كنت متأكدة أن الإيمـــــان هو

المبدأ الذي يُحرِك كل شيء. فعندما نرغب في شيء من أعماق قلوبنا، نكون أكثر قرباً إليه بالواقع.

- الإيمـــان.. وكأني كنت أبحث عن هذه الكلمة طيلة حياتي.. أيعقل أن أمر بكل هذه التجارب لكي ألتقيك وأسمعها منكِ..؟!!

- ربما. هذه الكلمة هي كنزي وهي التي جعلتني أتقبل كل ما يحدث لي من ألم ليس كمخدر كما فعلت حين استسلمت للضياع.. وإنما كمحرك لي بأن أكمل على الرغم مما حدث لي..

الكلمة هذه هي ما خلقت بداخلي روح تسعى بأن تجعل لأنفاسها معنى جميل.. معنى ستفخر به أمي حين ألتقيها..

- أحببت طريقة تفكيرك وفلسفتك للأمور التي حدثت في حياتك.

- أريد أن أخبرك أمراً عن المدير جافيتس. لقد سمعت أنه قام بفصل ثلاث من الموظفين من بعدك لأنهم رفضوا تغيير فكرة مشروعك بعد أن فقد المعلومات المهمة عنه.

- لم تختفي المعلومات.. أنا من أحرقها. وما السبب الذي ألصقه بهم..؟

- لقد قال أنه بحاجة إلى مهارات أقوى وأنجح ..

- وما هو حالهم ؟

- لقد قابلت داين بالأمس وقد قال لي أنهم بخير. وأن ما حدث كان أفضل شيء لهم لأنهم كانوا بحاجة لتجربة أشياء أخرى ووسائل جديدة..

- حقاً أنا آسف من أجلهم. لقد كانوا دائماً معي.
- لا تأسف. إنهم بخير. لقد تخلصوا من حكم مديرهم المسيطرة عليهم. الرحيل خير من البقاء معه.. هو يريد تكوين مجموعة تشبهه في الطمع والخداع والكذب. من سيتحمل العيش بهذه البشاعة.
- فعلاً. أحسنت قولاً.

***

" قرارات الله غامضة ولكنها دوما في صالحنا "

باولو كويلو

ذهبت مع أدونيس إلى الشاطئ.. أردت أن تكون صورة البحر هي آخر صورة أشاهدها قبل مغادرتي.. بدوت غافلاً عما يحيطني محدقاً بالبحر.. كما لو أنني في مكان بعيد جداً من هناك.. كنت خائفاً من خذلان نفسي فهي ليست قوية كفاية أمام ما حدث من ظروف.

سألني أدونيس: عند وصولك إلى منزلي.. شعرتُ بأنه كم كان صعباً عليك التخلي عن كل شيء، واتخاذ قرارات أجبرت نفسك عليها واجتزت معها طريق طويلة كهذه، فلماذا اتخذت مثل هذه القرارات..؟ ولماذا وافقت على المضي منذ البداية..؟

- كنت أعتقد أنه بإمكاني تخطي الكثير. لم أكن أتصور أن الأمور ستنتهي بي إلى هذه الحال.. مثل من يحرك الماء الراكد ليجد أنه كم أفسده.

انطلقت وأنا أرغب في تحقيق أهداف كثيرة في حياتي.. ولم أنطلق للوصول إلى خيبات الأمل هذه.. وعندما أخبرني زيوس أن أتخذ قراراتي بنفسي.. وجدت نفسي واقع في نهاية كهذه.

- وما الذي ستفعله الأن..؟

- بعد أن أدركت أني أخفقت في اتخاذ قراراتي سأعود.. فأنا لم أعد قادراً على تحويل خط سير حياتي أو السيطرة عليه. كنت في كل خطوة أشعر بأن هناك أمراً عليَّ أن أجيبه في نهاية الطريق! وكلما تقدمت خطوة إلى الأمام وجدت هذا الأمر يلح عليَّ أكثر.. وكأنني اقترب منه..!

لكن اليوم عرفت بأنني كنت أظن أن هناك أمر ما. لقد كنت أعيش خيبة أمل كبيرة.. ووهم في نفسي لا حقيقة له.

تسألت كثيراً.. ما الذي أفعله هنا على هذا الكوكب.. وسط الحروب.. والإبادات.. والأزمـــات.. والكساد.. والفقر.. والبطـــالة.. والتخلف.. والمآسي الإنســـــانية.

كل العالم اليوم يعيش فيه أُناس يعملون من الصباح إلى المســـاء لإعالة أسرهم.. كما أن هناك الخريجون من الجامعة وصعوبة إيجادهم لعمل بسهولة وصعوبة حتى في إكمال دراستهم. وكبار السن منهم من يصل حالهم إلى التقاعد والتعب بسبب صعوبة الحيـــاة.. غير ذلك لا يملكون إلا القليل لـيعتاشوا عليه.. ومنهم من يجاهد في مضمار الأعمال الشاقة التي لا ترحم

الشباب حتى ترحمهم.. غير اصطدامهم بمن يحتقرونهم.
كنت أتأمل أحوالهم تحت تلك الشجرة في العشرين من عمري.. تعلمت حتى نسيت كيف أعيش مع ما كنت أراه من ألم وخيبات أمل.. من أمال عقيمة.. من خيانات وأكاذيب.. من ذم ومكائد.. من كراهية واضطهاد.. من عدوانية وغيره.. من بغض ووحشية.. من إهمال واحتقار..
تعلمت حتى نسيت كيف أعيش مع تلك الأحلام المحطمة.. مع الظلم المنفذ باسم العدالة.. مع العالم بكل شروره. تعلمت ولكني لم أتعلم كيف أؤمن بنفسي وإن لم يؤمن بي أحد.. وكيف أعطي دون أن أملك شيئاً.. وكيف أمد يد العون حتى وإن كنت وحيداً تماماً.
لقد اعتدت على شق طريقي في تقليد ايديولوجيات باتت جذورها في الماضي وبعيداً عن كل تحديات الواقع. لقد كنت أقود نفسي إلى حياة رتيبة لا هادفة.. هذا ما كان يقصده زيوس بالرتابة التي أفسدت حياتي..
أريد أن ألقي بكل ما في داخلي في البحر.. وأجعل الأمواج تسحقه عندما ترتطم بالصخور.. أريد أن أعود من هذه الرحلة ولكنني لا أريد أن أخبر زيوس أنني لم أعرف كيف أفتش عما خُلقت من أجله.
- بروميثيوس لا تنظر إلى الأمور من ثقب ضيق.. لربما في كل ما حدث لك الخير الذي لا تعلم به. أنظر إلى أصدقائك، لقد أدركوا أن فصلهم من العمل حقق لهم بداية جديدة ورائعة..

- وأنا أدركت بعد كل ما حدث أن كل شيء يتغير في هذه الحياة.. وبعض التغيرات تأتي فجأة ودون أن نتعود عليها.

أعترف بأنني استسلمت.. وأظن أن سبيلي يقتضي على أن استسلم. وأصدقائي فقدوا وظيفتهم فقط.. ولم يحدث معهم ما حدث معي. اعتقد بأن عودتي لتلك المتاهة أفضل بكثير من المضي في تحقيق أهداف صار مصيرها الأفول.

- لا تركز على المشكلة.. لأن ذلك لن يحلها.. بل قرر رؤية ما عجز الأخرون عن رؤيته.. إذا كنت تتصور الأمور هكذا فلا تسمح لنفسك بعد الوصول إلى هذه المحطة بالتراجع وبكل سهولة إلى البداية..

ولو كانت أهدافك مصيرها الأفول لما أوصلك الله إليها.. فبقدر ما يقترب المرء من حلمه تغدو حياته في صعود ونزول.. مثل قاربي.. يتمنى رحلة هادئة ولكن الأجواء تكون يوماً في هدوء ويوماً في عاصفة.. هذه الحياة. تأكد أن عليك التكيف مع الظروف الصعبة وفهمها وقرأتها واجتيازها وإلا لن تكف عنك.

لا أعرف بمَ أرشدك.. أو بماذا أشير عليك.. لكن لتعلم أن حياتك لم تكن يوماً سدى.. وما حدث لك لم يكن يوماً اعتباطاً.. لا بد وأن الله يريد إرشادك إلى عمل في هذه الدنيا عليك أن تنجزه.. عليك أن تغير ما جئت لأجل تغييره وإصلاحه.. ثم تمضي. لربما كان هذا الشيء الذي أخبرتني عنه بأنه يلح عليك في كل خطوة من خطواتك.. فكر ولا تستسلم..

بروميثيوس لا تتسرع في قرارك هذا.. لديك الخبرة.. أكمل ما بدأت به..
- برأيك ما الذي أحتاجه لإعادة بناء عالمي بعد أن أنتهى ؟
- أنت اليوم شخص بإمكانه خوض تجارب جديدة لأنك إنسان.. والإنسان خليفة في هذا الكوكب.. ودوره لا ينتهي بمجرد تحديات كهذه.. وإنما بموته. عليك أن تمضي إلى النهـــاية وتحقق اسطورتك.. وتتقبل وجودك في هذه الحياة على كل ما فيها.. وتتحمل مشقة الدرب.. وتكمل بكل قوة ولتغرس البلايين من الأفكار الرائعة التي لديك.
- إن الأمل قد مات في الطريق التي أسلكها..
- (أحياناً يولد الأمل من رحم الكرب، فلا تجبره على اجهاضه قسراً).*
أسمع.. قرأت مرة قصة عنوانها موت (إيفان إيليتش) وقد ذكرها الدكتور واين دبليو لأنها السبب في تغيير حياته.
كان ايفان إيليتش قاضياً، عاش في موسكو، لكن أهم ملامح هذه القصة هي علاقته مع زوجته، والذي كان يكرهها، لأنه كان يمقت عمله، وشعر أنها قامت بالضغط عليه في أمور عديدة، لأن عمله ذو هيبة ومكانة. كان دائماً ملياً بالغضب والثورة بسبب ما تفعله. وعندما كان راقداً على فراش الموت، وكانت زوجته تمسك بيده، هذه المرأة التي طالما كرهها طيلة حياته، نظر إلى عينيها وقال كلماته الأخيرة: ماذا وإن كانت حياتي بأكملها خاطئة..؟ ثم مات.
لقد صُدم الدكتور واين دبليو وحركت كلمات إيفان الأخيرة مشاعر كثيرة

بداخله.. وعندها أخذ قطعة من الورق، وكتب مذكرة لنفسة أقولها لك بالمعنى: "عزيزي واين لا تموت وما أنت هنا لأجله لا يزال بداخلك".

الصعاب في طريق كل واحد منا.. بعد الحديث مع أدونيس توقفت عن الهروب وواجهت ألمي.. فهو في النهاية جزء من الماضي ولا يجب أن يبقى معي في مهمة بناء عالمي الجديد. كان لا بد وأن ينتهي سجنه لي.. وعالمي الجديد عليّ أن أبدأ في بنائه من الأن.. فكل لحظة أعيشها هي الأن. قضيت وقتاً طويلاً حتى أستوعب ذلك.

الهروب من الناس.. من الطرق المظلمة.. من الخنادق المميتة.. من الدروب المسمومة.. من رتابة الحياة.. لن ينفع أبداً مع واقع كهذا تسيطر عليه الأنانية والاستخفاف.. ويتأكله الجشع.. ولا يرتوي جوع الشر فيه والظلم. الهروب أمر يجب أن يتوقف إذا أردت أن أعيش في هدوء وسعادة.. لأن سر السعادة يكمن في أن أشاهد كل ما في الدنيا دون أن أنسى إطلاقاً من أنا..؟ ومن أين..؟ وإلى أين..؟ وما الذي علي فعله..؟

كثير من الفرص والأشياء كانت متاحة لي في طريق حياتي ولكنني لم أستفيد منها. كنت أسعى لراحة البال، والسلام الداخلي، والهدوء النفسي، ولم أكن أعلم أنها تأتي بعد اكتشاف حقيقتي لذاتي.

لقد أدركت أنني مخلوق لم يأتي لكي يترك الأمور على ما هي عليه.. أو يترك

الأمور إلى ما ألت إليه على هذه الأرض.. وإنما أن يساهم في تغيير واقع الأرض الذي مرض بسبب جهل الإنســـــــان وعدم تحمله للمسؤولية.

لقد عرفت جوهري.. وعرفت بسبب المواقف "الأنا الهش" التي كانت تقودني إلى حيث الفراغ والمزيد منه..

لقد كنت اثق بكل ما تعلمته.. وكنت أثق بأنه سيعينني في مواجهة تحديات وصعوبات الحياة.. ولكنني اكتشفت أنه زيف.. وأن بداخلي شخصاً مغامراً منفتحاً يحب الحياة يثق بإيمانه في درب التماوت. لكن لم أكن أحتاج إلى شيء في طريقي قدر حاجتي إلى الإيمـــــــان.

عندما أدركت ذلك، شعرت بأهمية التجربة التي قمت بها، وهذا الأدراك بالذات هو أغلى شيء عندي، لأنه أوصلني إلى معجزتي التي لن تأفل، إلى الإيمـــان الذي كنت أفتقده، الإيمان بحياتي أنها لم تكن عبثاً ولن تكون.

بعد سبع سنوات من العمل والسقوط والنهوض.. ها أنا ذا عائد إلى مدينتي.. أصبح عمري سبعاً وعشرين عاماً.

قبل دخولي إليها نظرتها من بعيد.. همست بيني وبين نفسي.. كنتِ كل يوم تتغيرين لكني لم أكن ألحظ تغيركِ. اليوم وأنا على أعتاب أبوابك أقول لنفسي بعد أن كدت أخسرها في التجربة التي انتهت هنا.. لقد عثرت على طريق للخروج من داخلي وقد تغيرت كثير من الأمور.

لا يوجد شيء أعظم من تغير العقلية نحو الأفضل .. فـالمغامرة تكون داخل

المرء وليست خارجه كما قالت جورج أليوت. بعد اليوم.. لا أريد أن أعيش لمجرد العيش فقط.. أريد أن أتغير.. أكتشف.. أغامر.. أجرب الجديد.. أتعلم المزيد.. أحقق شيء يخصني.. أتمرد على الواقع بدل أن أستسلم له.

أأه يا أمي.. كم كانت حياتي بعيدةً عنك تشبه البرية. لم تكن التحديات سهلة، بل كانت صعبة جداً، ولا سيما تلك العادات السلبية التي كنت أحاول اكتشافها وتغيرها في نفسي.. وأيضاً الأمور الروتينية التي اعتدت القيام بها دون فائدة تعود عليّ وعلى المجتمع من حولي.

لقد تعلمت بأن لا شيء مضمون في هذه الحياة. وكل شيء يتغير. فإذا لم نتغير نحن في طريقة تفكيرنا فإن نفس التجارب والأحداث ستحدث معنا. وأدركت بأنني إذا أردت شيئاً في هذه الحياة فلا بد أن أفكر كيف أصل إليه ولا أنتظر وصوله إليّ.. لأن لا شيء سيصل.

كنت أريد الحصول على شيء يحكي عني.. شيء أجدني فيه وأجده فيَّ.. لكنني لم أكن حازماً.. وهذا السبب الذي جعلني أعمل لحساب شخص أخر وكنت جزء من حلمه حتى صار حقيقة.

***

"لا يمكننا أن نعيد حياتنا من جديد.. ولكن يمكننا أن نبدأ الأن ونصنع نهاية جديدة"

زج زيجلر

في آخر يوم من مسيرتي الحياتية أقول: شكراً لكل تلك المواقف التي علمتني أن أكون ما أريد. ما أجمل أن يجد الإنســـان نفسه. أنها ذاته التي كانت دائماً ما تلح عليه بأن يجدها. وكما قال إريك فروم: إن مهمة الإنسان الكبرى هي أن يلد نفسه.

قد يكون بحوزتك سيف أسطوري.. سيف يكشف عن كل شر ويقضي عليه.. سيف له شعاع مضيء لنشر السلام والهدوء والأمان.. ولكن هذا السيف لن يبقى في يدك إذا لم تعرف الغاية التي من أجلها صُنع..!

نحن لم نعرف الغاية التي من أجلها خُلقنا.. لقد حصرنا أنفسنا في زاوية ضيقة ولم نتخطى حدود شخصيتنا وخلقنا.. ولم نعرف أين وكيف نستخدم

طاقتنا التي فينا.. لذلك لم نشعر بالسعادة.. السعادة التي تكمن في الرضى عن أنفسنا.. لذلك يجب أن لا نحزن عندما تأخذ مجموعة غيرنا سيفنا الاسطوري.. لأننا نحن من تخلى عنه.. لأننا نسينا أن طريق المعرفة مفتوح أمام كل الناس.. وخاصة الناس العاديين الذي يضنون أن الواجب على أشخاص معينين.. لا أتحدث هنا عن الشهادات.. أتحدث هنا بشأن الحصول على المعرفة.. المعرفة التي تنقل الوعي..

ما أجمل أن تولد كل أفعالنا من داخلنا، من أرواحنا الطاهرة التي عرفت ربها، تلك الأرواح التي تحمل كل معاني الحب والإنسانية والإخلاص والمسؤولية.. لتصل إلى تلك الدرجة من الفلاح.

بعد هذا المشوار الطويل.. لمحت الحقيقة بعين ذاتي في روحي.. لقد سطرت لكم تجربتي التي مررت بها.. وشعرت بها بكل حواسي.. حتى نُقلت حياتي.. وتغيرت تصوراتي حول الإنسان والحيـاة والكون..

ها أنا اليوم ذلك الإنسان الجديد الذي خلقته التجارب والصعاب.. الإنسان الذي أريد أن أكونه.

أصبحت أنظر إلى وجهي في المرأة.. ولا أرى ذلك الأنا المزيف في داخلي.. ذلك الكائن القديم الذي أضلني السبيل.. وإنما أرى كائناً تنوره ذاته وروحه.. كائناً لا يريد أن يموت حتى يحقق اسطورته.. وتحقيق الأسطورة لا يكون إلا بالمعرفة.. إنها مهمتنا وما أعظمها من مهمة.. إنها مسؤوليتي ومسؤوليتك {هُوَ

أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}. لنأخذ جميعاً هذه المسؤولية بقوة.. ولنكن جميعاً مساهمين في ولادة أرض جديدة.. أرض لك ولي ولكل فرد يريد أن يعيش.. أرض صالحة لنا جميعاً ولكل من نحب ولأطفالنا من بعدنا.
يمكن أن نخلق عالماً جديداً من بين الخراب الذي نسكن فيه.. يمكن ذلك إذا لم نتخلى عن كوننا بشراً نملك الكثير من القدرات.. يمكن ذلك إذا قُدنا أنفسنا إلى أفق الفهم الصحيح. لذلك نحتاج أن يعمل الجميع بقوة لنصنع المعجزة التي لا تأفل. وإلا كنا جزءاً من أهدافِ غيرنا بدلاً أن نكون جزءاً من أهدافنا نحن. أعرف بأننا سننزف كثيراً ولكننا سنصبح الأفضل. سننزف من كثرة ما سيمر بنا.. وسيأتي يوم نجد فيه الألآم تسكننا لدرجة أننا لن نميز موضع الوجع! وما سبب الوجع!
كل شيء بثمن طالما خسرناه بثمن النوم طويلاً.. ولكن !!
عاند لأجلك.. فحياتك هي أنت.

- زيوس!! وفي منزلنا منذ متى؟
- نعم زيوس أيها الصديق.. جئت أسلم على والدتك.. وأيضاً أنت مدين لي بشيء..
- شيء!! وما هو.. وتسلم على أمي!! أنا لم أفهم شيئاً.. ..
- أتذكر يوم ضربك على ظهر السفينة.. أنا كنت مع معلم أدونيس والد

يولاند.. ونحن من انتشلك من تحت عصا ذاك الرجل القاسي.
- يا إلهي أنت الرجل الذي رحل ولم أشكره.. أنت كنت تعرفني منذ البداية..
لم أتوقع أمر كهذا.. ووالد يولاند!!
- نعم. أعلم. تعال ودعني أخبرك بالقصة.

تمت

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

ببلومانيا
للنشر والتوزيع